روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

اللمسة الأخيرة

124

د. نبيل فاروق

Looloo



رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لستّ لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكّر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعدّدة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١- فى قبضة العدو ..

انطلقت دقات الساعة، فى قلب (تل أبيب)، معلنة تمام الثانية عشرة والنصف صباحًا، عند ذلك الفندق الكبير، الذى أحيط بمظاهرة غير مسبوقة، من رجال الجيش، والشرطة، والقوات الخاصة الإسرائيلية، بالإضافة إلى عدد من سيارات (الموساد)، بداخلها رجال فى معاطف داكنة، انهمكوا طوال الوقت فى اتصالات لاسلكية، وكأنهم يبلغون العالم كله بخبر يعتبرونه أفضل ما حدث لهم، منذ إعلان قيام دولة (إسرائيل) نفسها ..

أما الفندق نفسه، فقد اكتظ بعشرات من رجال الأمن، الذين يحملون مدافعهم الآلية، وينتشرون فى المكان كله، على نحو يوحى بأنهم يحاولون منع ملك الموت نفسه من الدخول ..

أو من الخروج ..

وفى الطابق التاسع بالتحديد، كانت الأمور أكثر

توترًا وتحفزًا ، وقد اتجهت فوهات أكثر من عشرة من جنود القوات الخاصة ، فى عصبية شديدة ، نحو شخص فاقد الوعى ، تم نقله على الفور ، من شرفة إحدى الحجرات ، إلى الفراش الكبير داخلها ، فى حين وقف مدير فرع العمليات الخاصة فى (الموساد) (مائير جولدمان) ، حاملاً هاتفه الخلوى ، وهو يتحدث فى حماسة وانفعال ، إلى أكبر سلطة سياسية فى (إسرائيل) ..

إلى رئيس الوزراء نفسه ..

وبكل حماسه وانفعاله ، كان (جولدمان) يقول :

- لقد سقط أخيرًا يا سيادة رئيس الوزراء .. الخطة (أ) أتت ثمارها بكل تأكيد .. لقد كنا نعلم أنها ستثير الكثير من التساؤلات والقلق ، ولكننا كنا واثقين من أننا سنصل بوساطتها إلى هدفنا .

أجابه رئيس الوزراء ، من مكتبه فى (القدس) ، بحماسة واهتمام :

- عظيم يا (جولدمان) .. عظيم .. سأوصى بمكافأة صاحب ذلك القرار الثورى الناجح بالتأكيد .. قل لى يا (جولدمان) : ما اسم من أصدره ؟!

رمق (جولدمان) مساعده (دافيد) بنظرة جانبية ، قبل أن يجيب بابتسامة كبيرة :

- إنه أنا بالطبع يا سيادة رئيس الوزراء .. أنا المسئول الأول عن العملية كلها ، ويمكننى وحدى إصدار أمر كهذا .

هتف رئيس الوزراء فى حماسة :

- عظيم يا (جولدمان) .. عظيم .. سأعلن رسميًا أننا قد ألقينا القبض على جاسوس مصرى .

اتسعت ابتسامة (جولدمان) الواثقة ، وهو يقول :

- إنه ليس مجرد جاسوس مصرى يا سيادة رئيس الوزراء .. إنه ضابط مخابرات مصرى ، وهذا أكثر أهمية وخطورة .

لم ترق العبارة لرئيس الوزراء الإسرائيلى ، الذى لم يكن يدرك فعليًا الفارق بين الأمرين(*) ، إلا أنه

(*) فى عالم المخابرات ، يعتبر إلقاء القبض على ضابط مخابرات معادٍ أكثر خطورةً وأهميةً من القبض على جاسوس ، مهما بلغت أهميته ، إذ إن الجاسوس أو العميل ، لا تتجاوز معلوماته ما تم إخباره به ، أما ضابط المخابرات ، فهو يحمل كمية من الأسرار والمعلومات ، يمكن أن تساوى عمل عامين كاملين لو أمكن انتزاعها منه .

أخفى هذا فى أعماقه ، وحرص على ألا يبرز فى صوته أو لهجته ، وهو يقول :

- بالطبع يا رجل .. بالطبع .. إعلان سقوط ضابط مخابرات مصرى أمر أكثر قوة وخطورة .

قال (جولدمان) بسرعة :

- لقد أوقعنا بجاسوسين آخرين أيضًا ، يا سيادة رئيس الوزراء .

بهت رئيس الوزراء الإسرائيلى بالفعل هذه المرة ، ولم يستطع إخفاء دهشته وانبهاره ، وهو يهتف :

- اثنان آخران ؟! أتعنى أنكم قد ألقيتم القبض على الثلاثة فى ليلة واحدة ؟!

أجابه (جولدمان) فى ثقة وارتياح :

- لقد أوقعنا ضابط المخابرات المصرى وجاسوسة إسرائيلية ، تعمل لحساب المصريين ، كما لقى جاسوس فلسطينى حتفه .

هتف رئيس الوزراء :

- يا للشيطان ! إنها ليلة مثمرة للغاية .. سيستغرق بيانى ساعة كاملة على الأقل .

تردد (جولدمان) لحظة ، قبل أن يتنحنح فى توتر ، قائلاً :

- معذرة يا سيادة رئيس الوزراء ، ولكننى أقترح تأجيل إعلان الأمر قليلاً .

سأله رئيس الوزراء الإسرائيلى فى عصبية :

- ولماذا يا (جولدمان) ؟!

أجابه (جولدمان) فى سرعة :

- الأفضل أن تستقر الأمور أولاً ، ويتم نقل الجاسوسين إلى زنزانة خاصة ، فى مبنى (الموساد) الرئيسى ، ثم نرسل إليك تقريرًا رسميًا ، فتعلن الأمر على كل المستويات .

وعلى الرغم من العناد ، الذى يتميز به رئيس الوزراء الإسرائيلى ، فقد استغرق بضع لحظات فى التفكير ، قبل أن يقول :

- لا بأس يا (جولدمان) .. لا بأس .. سأنتظر تقريركم الرسمى .

ثم استدرك فى حدة ، وكأنما لم يرق له أن يستمع إلى نصيحة الرجل بهذه البساطة :

- ولكننى أريده بأقصى سرعة .. هل تفهم ؟!

ابتسم (جولدمان) ، مغمغمًا :

- أفهم يا سيادة رئيس الوزراء .. أفهم .

قالها ، وأنهى الاتصال ، ثم التفت يلقى نظرة على (أدهم) الفاقد الوعى ، وانطلقت من أعمق أعماقه زفرة ملتهبة ، وهو يتمتم :

- أخيرًا يا (أدهم) .

كان ما يراه أمامه هو الخطوة الأخيرة ، فى صراع عنيف ، أذاق (الموساد) مرارة الدنيا كلها ، على الرغم من أنه لم يستغرق سوى ساعات معدودة ..

فأثناء إحدى المهام ، فى (الولايات المتحدة الأمريكية) ، اختطف (الموساد) (قدرى) ، خبير التزييف والتزوير الأول ، فى المخابرات العامة المصرية ، وتمَّ نقله إلى (تل أبيب) مباشرة(*) ..

وكانت ضربة قوية ، وناجحة للغاية ، للمخابرات الإسرائيلية ..

ضربة مزدوجة ، منفذة بمهارة مدهشة ..

فباختطاف (قدرى) لم يحرموا المخابرات المصرية من أصابعه الذهبية فحسب ..

ولكنهم يضمنون أيضًا أن يجذب هذا عدوهم الأول إلى عرينهم ..

(*) راجع قصة (وجه الأفعى) .. المغامرة رقم (١٢١) .

عدوهم (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

وعلى الرغم من ثقته بأن هذا ما يسعون إليه بالضبط ، لم يتردد (أدهم) فى القيام بالدور ، الذى أسندته إليه ، على نحو غير مباشر ، المخابرات الإسرائيلية ..

دور الفريسة ، فى أرض الذئاب ..

ولكن عندما يقبل رجل مثل (أدهم صبرى) ..

وعندما يقبل جهاز عبقرى ، مثل المخابرات العامة المصرية ، لعب هذا الدور ، فإن اللعب يتم وفقًا لقواعد جديدة ..

قواعدنا ..

وهكذا انتقل (أدهم) إلى (تل أبيب) ، بخطة تشرف عليها المخابرات المصرية كلها ..

وبمنتهى الدقة ..

ولم تكن الخطة تقليدية ..

لم تكن كذلك أبدًا ..

وهذا ما أربك رجال (الموساد) ..

بل و (إسرائيل) كلها ..

فعندما أصبح (أدهم) داخل (تل أبيب) ، وعلى قيد كيلو مترات قليلة من (قدرى) ، لم يسع للاختباء والاختفاء ، كما توقَّع الجميع ..

بل لقد سعى لفعل كل ما يثير غضب وجنون (الموساد) .

وإلى أقصى حد ..

وبمساعدة رجل المخابرات الفلسطينى (أديب الريس) ، و(راشيل فريمان) ، المقدَّم بالجيش الإسرائيلى ، وعميلة المخابرات المصرية ، بلغت عملية إثارة الجنون هذه غايتها ، حتى أقدم رجال (الموساد) على خطوة لم تحدث فى (إسرائيل) كلها ، منذ حرب (السويس)[*] ..

(*) حرب (السويس) : تعرف أيضًا باسم (العدوان الثلاثى) . فبعد أن أصدر الرئيس الراحل (جمال عبد الناصر) قراره الثورى . بتأميم قناة (السويس) ، فى السادس والعشرين من يوليو ١٩٥٦م ، ثارت الدول الكبرى ، وعلى رأسها (إنجلترا) و(فرنسا) ، وقررتا إعلان الحرب على (مصر) ، لاسترداد سيطرتها على القناة ، ولقد تحالفت معهما (إسرائيل) ، التى بادرت بالهجوم على (سيناء) ، وبعدها أصدرت (إنجلترا) و(فرنسا) بيانًا مشتركًا ، تنذران فيه الدولتين المتحاربتين (مصر) و(إسرائيل) بالابتعاد عن القناة ، وعندما رفضت (مصر) هذا ، هاجمتها الدولتان ، ولكن التحالف الثلاثى لم ينجح فى مهمته قط

لقد أعلنوا خطة الطوارئ القصوى ..

الخطة (أ) ..

وهكذا أُغلقتْ مداخل ومخارج (تل أبيب) ..

وأعلنت حالة حظر التجوال ..

وتم تفتيش كل المنازل والمتاجر ، وحتى المحال الصغيرة ..

وكل الأفراد ..

بلا استثناء ..

كل الأوراق والمستندات تم فحصها بمنتهى الدقة ..

كل شخص تم تفتيشه ، بعد تحديد هويته ، على نحو لا يقبل الشك ..

وعلى الرغم من كل هذا ، فقد واصل (أدهم) خطته ..

وأثار المزيد والمزيد من الغضب ..

ومن الجنون ..

ولأن (الموساد) قد استعان هذه المرة بجهاز كمبيوتر متطوِّر ، من أجيال الذكاء الصناعى المتطوِّر ، فقد نجحوا فى كشف الكثير من الحقائق ..

الكثير جدًا ..

وهكذا انكشف أمر (أديب) ..

وسقطت (راشيل) فى قبضة (الموساد) ..

ثم كانت المواجهة الكبرى ، فى أحد فنادق (تل أبيب) ..

وكانت مواجهة عنيفة ..

للغاية ..

وفى الطابق التاسع من الفندق ، ألقى الرجال قنبلتهم الأخيرة ..

وطالعهم وجه (أدهم صبرى) أخيرًا ، وهو فاقد الوعى ..

وكان هذا يعنى أن اللعبة قد انتهت بانتصارهم .. تمامًا(*) ..

« هل ننقله إلى السجن الحربى يا أدون (جولدمان) ؟! »

انتزع سؤال ضابط القوات الخاصة (جولدمان) من أفكاره ، فالتفت إليه فى حزم ، قائلاً :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين ، الأول والثانى .. (الأصابع الذهبية) ، و(المستحيل) .. المغامرتين رقمى (١٢٢) و(١٢٣) .

- كلاً .. سننقله إلى سجن خاص بنا ، فهو ليس جاسوسًا عاديًا .

سأله الضابط فى اهتمام :

- فليكن .. هل نعمل على نقله إليكم ؟!

هزَّ (جولدمان) رأسه نفيًا ، وهو يقول فى صرامة :

- بل ستأتى سيارة خاصة ؛ لنقله إلى هناك .

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يتابع :

- إنها سيارة مصفحة ، لها رتاج خاص ، يستحيل فتحه من الداخل ، وبها وسائل أمن خاصة ، لإطلاق غاز مخدِّر داخلها ، عند أية محاولة للخروج منها بالقوة ، وجدرانها مضادة للرصاص ، وحتى للانفجارات ..

وارتسمت على شفتيه ابتسامة واثقة ، وهو يستطرد :

- باختصار .. إنها السيارة التى تناسبه تمامًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى طرقت مسامعه ضوضاء عجيبة من خارج الحجرة ، ارتفع معها صوت أحد الجنود ، وهو يهتف فى صرامة :

- قلت لك : ابتعد أيها الشيخ .. غير مسموح بالاقتراب من هذه الحجرة .. هيا .. عد إلى حجرتك فورًا .

ثم ارتفع صوت مرتجف ، يصيح فى غضب :

- أنا أعود إلى حجرتى ؟! أنا ؟! ومن يأمرنى بهذا ؟! ضابط تافه مثلك ؟! أنا عضو الكنيست(*) ، يأمرنى ضابط تافه مثلك بالعودة إلى حجرتى ؟! أنا ؟!

تبادل (جولدمان) و(دافيد) نظرة متوترة ، عندما ذكر الشيخ أنه عضو بالكنيست ، وغمغم الأول فى عصبية :

- أنهِ هذه المشكلة يا (دافيد) .. لسنا بحاجة إلى أية تعقيدات ، فى هذا الوقت بالذات .

أجابه (دافيد) ، فى توتر مماثل :

- بالتأكيد يا أدون (جولدمان) .. بالتأكيد .

ثم اتجه نحو الباب ، هاتفًا بالضابط :

- ماذا يحدث عندك أيها الضابط ؟!

أجابه الضابط فى ضيق ، وهو يفسح الطريق :

(*) الكنيست : المجلس التشريعى الإسرائيلى .

- هذا السيد هنا يصر على إلقاء نظرة على ما يحدث .

ومن خلفه ، برز شيخ فى أواخر الستينات من عمره ، محنى الظهر ، متغضن الوجه ، يستند إلى عصا من العاج ، وهو يقول فى عصبية ، وبصوت ارتجفت نبراته ، من كبر عمره :

- هذا حقى .. لابد أن نعرف ما تفعلونه من خلف ظهورنا ، يا رجال الأمن .

أجابه (دافيد) محاولاً السيطرة على أعصابه بقدر الإمكان :

- إنه أمر أمنى بحت يا سيدى .. لقد ألقينا القبض على جاسوس مصرى .. هذا كل ما هناك .

قال الشيخ فى حدة :

- جاسوس مصرى ؟! تصيبون الفندق كله بالذعر والهلع .. رصاصات تنطلق .. وقنابل تنفجر ، وكل هذا من أجل جاسوس واحد ؟!

زفر (دافيد) فى عصبية ، قائلاً :

- صدقنى يا سيدى .. كان الأمر يستحق .

لوح الشيخ بيده ، قائلاً فى حدة :

- لا يوجد ما يستحق هذا ، ولا ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه الأشيبين الكثين ، وهو يتطلع إلى (جولدمان) فى اهتمام ، قبل أن يشير إليه ، قائلا فى صرامة :

- أنت هناك .. إننى أعرفك .. أليس كذلك ؟!

أشاح (جولدمان) بوجهه فى ضجر ، مغمغمًا :

- لست أظننى قد تشرفت بمقابلتك من قبل يا سيدى .

هتف الشيخ :

- ولكننى أعرفك جيدًا .. أنت ابن (جولدمان) .. ابن (إيزاك جولدمان) .. أليس كذلك ؟!

التفت إليه (جولدمان) فى دهشة ، فتابع الشيخ فى حماسة :

- نعم .. إنك هو .. إنك لا تشبه والدك كثيرًا ، ولكنك نسخة طبق الأصل من أمك (ليزا) .. لقد تعرفتك فور رؤيتك .

ثم تجاوز الضابط و(دافيد) ، وأمسك معصم (جولدمان) ، وهو يتطلع إليه بابتسامة كبيرة ، مستطردًا :

- والدك كان أحد أصدق أصدقائى .. لقد كنا عضوين فى الكنيست ، من قبل أن تتعلم كتابة اسمك ..

زفر (جولدمان) فى سخط ، مغمغمًا :

- تشرفنا يا سيدى .

هتف الشيخ فى حماسة :

- لقد أسعدتنى رؤيتك للغاية .

ثم مال نحوه ، يسأله فى اهتمام :

- قل لى : ماذا تفعل فى هذه الأيام ؟! والدك كان يصر على أنك لن تفلح أبدًا .. ترى هل أصاب أم أخطأ ؟!

كتم (دافيد) ضحكته ، وهو يقول :

- أدون (جولدمان) هو رئيسنا جميعًا يا سيدى النائب .

هتف الشيخ فى حماسة :

- عظيم .. عظيم .

ثم احتضن (جولدمان) فى سعادة ، مستطردًا :

- كم يسعدنى أن خاب ظن والدك .. كم يسعدنى هذا .

ثم تراجع متمتمًا :

- واصل عملك إذن يا بن (جولدمان) .. لن أعطلك أكثر من هذا .

مط (جولدمان) شفتيه ، قائلاً :



ثم مال نحوه ، يسأله فى اهتمام :

ـ قل لى : ماذا تفعل فى هذه الأيام ؟!

ـ أشكرك كثيراً .

لوَّح الشيخ بيده ، وهو يغادر المكان ، قائلاً :

ـ لا عليك يا بن (جولدمان) .. هيَا .. واصل عملك .. هيَا .

كتم الجميع ضحكاتهم ، حتى اختفى الشيخ ، فانفجرت ضحكاتهم ، على نحو استفزَّ (جولدمان) ، الذى هتف فى صرامة غاضبة :

ـ ماذا أصابكم ؟! إننا هنا للقيام بعملنا ، وليس لتبادل الدعابات .

عاد الجميع يكتمون ضحكاتهم ، فى حين غمغم (دافيد) فى سخرية :

ـ لو أن كل نواب الكنيست على شاكلته ، لقلنا على (إسرائيل) السلام .

أجابه (جولدمان) فى خشونة :

ـ دعك من السلام وسخافاته .. الحرب وحدها ستضع (إسرائيل) فوق رءوس الجميع .

قال (دافيد) فى خبث :

ـ كأنى برئيس الوزراء يتحدَّث .

قال (جولدمان) فى صرامة :

ـ وماذا فى هذا ؟!

قبل أن يتورطا فى مناقشة سياسية عقيمة ، برز أحد ضباط القوات الخاصة ، يقول :

- السيارة المصفحة وصلت يا سيدى .

انعقد حاجبا (جولدمان) ، وهو يقول :

- عظيم .. أريد عشرة رجال يحيطون بهذا الشيطان طوال الوقت ، وأريد منكم أن تقيدوه على المحفة ، التى ستنقله إلى السيارة ، بقيود من الصلب ، ولا ترتفع فوهات مدافعكم عنه ، حتى يصبح داخل صندوق السيارة المغلق بالفعل .

قال الضابط فى دهشة :

- ولكن الرجل فاقد الوعى يا سيدى .

صاح به (جولدمان) فى غضب :

- نفذ الأوامر دون مناقشة .

لم يرق هذا الأسلوب الفظ لرجال القوات الخاصة ، ولكنهم نفذوا أوامر (جولدمان) بمنتهى الدقة ، حتى أصبح أسيرهم داخل صندوق السيارة المصفحة بالفعل ، وبصحبته عشرة جنود ، يصوبون إليه مدافعهم الآلية فى تحفز ، وتأكد (جولدمان) بنفسه من إغلاق رتاج السيارة بمنتهى الإحكام من الخارج ، ثم راجع أوراق وهوية سائقها ثلاث مرات ، قبل أن يقول فى حزم :

- سأنطلق بسيارتى أمامك يا رجل ، وستسير سيارتان على جانبيك ، وأخرى خلفك .. لا تحاول تجاوزنا قط ، مهما كانت الأسباب .. هل تفهم ؟!

أجابه السائق فى توتر شديد ، وقد أدرك من لهجته وأسلوبه ، أن الأمر بالغ الأهمية والخطورة ، على نحو لم يسبق له مثيل :

- أفهم تمامًا يا أدون (جولدمان) .. أفهم تمامًا .

أومأ (جولدمان) برأسه ، قائلاً فى حزم :

- عظيم .

ثم دس يده فى جيب سترته ، وهو يلتفت إلى (دافيد) ، قائلاً :

- احضر سيارتى ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ..

فعلى الرغم من ثقته بأنه قد وضع مفاتيح سيارته فى الجيب الأيمن الخارجى لسترته ، إلا أن ذلك الجيب كان خاليًا تمامًا ..

ولم يكن هناك أثر لمفاتيح سيارته ..

أدنى أثر .

★ ★ ★

٢ - الإعـــدام ..

لم يكد رنين الهاتف الخاص ينطلق ، فى حجرة مدير المخابرات العامة المصرية ، حتى قفزت يد هذا الأخير فى سرعة ، لتلتقط سمّاعته ، وهو يقول ، فى شىء من الصرامة :

- من المتحدّث ؟!

أتاه صوت وزير الخارجية ، وهو يقول بهدوئه المعهود :

- إنه أنا .. أما زلت فى مكتبك ، حتى هذه الساعة ؟! لقد شعرت بالدهشة ، عندما اتصلت بك فى منزلك ، فأبلغتنى السيّدة زوجتك أنك لم تعد بعد .

أجابه مدير المخابرات بابتسامة هادئة :

- إنها دواعى العمل كما تعلم .

قال الوزير :

- بالتأكيد .. بالتأكيد .

ثم استطرد فى صوت يشف عن ضيقه وتوتره :

- السفير الإسرائيلى اتصل بى منذ قليل ، ويطلب مقابلتنا معًا فى مكتبى .

هتف مدير المخابرات فى دهشة :

- فى هذه الساعة ؟!

أجابه الوزير :

- أعلم أنها قد تجاوزت الثانية عشرة والنصف ، بعد منتصف الليل ، ولكنه يؤكد أن الأمر عاجل للغاية ، ولا يحتمل التأخير .

سأله المدير ، فى شىء من السخرية :

- لماذا ؟! هل أعلنت علينا (إسرائيل) الحرب ؟!

ضحك الوزير ، وهو يقول :

- اطمئن .. إنهم يتجاهلون كل القواعد الدبلوماسية ، فى مثل هذه الظروف .

قال المدير ساخرًا :

- هذا أمر طبيعى ، فهم لا يحترمون العهود والمواثيق ، منذ عرفهم التاريخ(*) .

(*) من يقلب صفحات التاريخ ، يكشف أن اليهود لم يحترموا يومًا اتفاقية أو ميثاقًا ، أو عهدًا أقاموه على أنفسهم ، وأنهم فى كل الأحوال ، كانوا يلجئون إلى ما يحقق مكاسبهم وحدها ، بغض النظر عن القوانين والوثائق .

تنهد الوزير ، مغمغمًا :

ـ هذا صحيح ، ولكننا على عكسهم ، نحترم كلمتنا دائمًا .

قال المدير :

ـ أيعنى هذا أننا مضطرون لمقابلته ؟!

أجابه الوزير فى حزم :

ـ بالتأكيد .

وعلى الرغم من أن الوزير لا يراه عبر الهاتف ، أومأ مدير المخابرات برأسه متفهمًا ، وقال فى حسم :

ـ فليكن .. سألحق بك فى مكتبك ، خلال ربع الساعة على الأكثر .

سأله الوزير فى اهتمام :

ـ ألنت واثق من أنك تستطيع الوصول بهذه السرعة ؟!

أجابه المدير :

ـ فى مثل هذه الساعة .. نعم .

أنهى المحادثة ، ونهض من خلف مكتبه ، فسأله أحد مساعديه فى اهتمام :

ـ ألم يكن من الأفضل أن تبقى ؛ لنتابع عملية العميد (أدهم) يا سيدى ؟!

أجابه المدير فى حزم :

ـ الضرورات الدبلوماسية تحتم مقابلة الرجل .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ ثم إننى واثق من أن ما يريده يتصل اتصالا وثيقا برجلنا (ن ـ ١) .

لم تمض ربع الساعة ، على عبارته الأخيرة هذه ، حتى كان يدلف إلى مكتب وزير الخارجية ، الذى نهض لاستقباله بابتسامة كبيرة ، قائلا :

ـ فى موعدك بالضبط .

أجابه مدير المخابرات ، وهو يصافحه فى هدوء :

ـ دقة التوقيت جزء من عملنا يا سيادة الوزير .

ثم استدار يصافح السفير الإسرائيلى ، مستطردًا :

ـ أليس كذلك يا سيادة السفير ؟! أعنى بالنسبة لخبرتك كرجل مخابرات سابق .

انعقد حاجبا السفير الإسرائيلى ، وهو يقول فى صرامة :

ـ المهم من يربح أخيرًا يا رجل .

أجابه مدير المخابرات بابتسامة واثقة كبيرة :

ـ بالضبط .. المهم من يربح أخيرًا .

نقل وزير الخارجية بصره بينهما لحظة ، ثم دعاهما للجلوس ، وهو يقول :

- أعتقد أنه ، بالنسبة للتوقيت ، فمن الأفضل أن ندخل فى الأمر مباشرة أيها السيدان .

قال مدير المخابرات فى هدوء :

- بالتأكيد يا سيادة الوزير .. إننى أنتظر سماع ما لدى سيادة السفير الإسرائيلى .

التفت الوزير إلى السفير الإسرائيلى ، قائلاً :

- تفضل يا سيادة السفير .

تألقت عينا السفير الإسرائيلى فى ظفر ، وتراجع فى مقعده بشىء من الانتعاش ، وهو يشير بيده ، قائلاً :

- يبدو أن رجلكم ، الذى لم يكن له وجود ، قد أصبح حقيقة واقعة على أرضنا أيها السادة .

قال مدير المخابرات فى هدوء :

- بمعنى ؟!

مال السفير الإسرائيلى إلى الأمام ، قائلاً فى حزم شامت :

- بمعنى أن رجلكم قد وقع فى قبضتنا يا مدير المخابرات المصرى .

بدا القلق على وجه الوزير ، فى حين ظل مدير المخابرات هادئاً للغاية ، وهو يشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، متسائلاً :

- عن أى رجل تتحدث ؟!

أجابه السفير الإسرائيلى ، فى شىء من الحدة :

- عن (أدهم) يا مدير المخابرات المصرى .. (أدهم صبرى) .. رجلكم الذى سبب لحكومتى قلقاً شديداً ، وهو يعبث بأمننا وأماننا ، فى قلب (تل أبيب) ، والذى وقع فى قبضة رجالنا الأشداء ، منذ ما يزيد على نصف الساعة ، وأصبح لدينا الدليل الحاسم ، غير القابل للشك ، على وجوده وهويته .

ران الصمت بضع لحظات على الحجرة ، قبل أن يميل مدير المخابرات إلى الأمام ، ويسأل السفير الإسرائيلى فى هدوء :

- وكيف علمت بأمر إلقاء القبض عليه بهذه السرعة ؟!

انعقد حاجبا السفير الإسرائيلى ، وهو يقول :

- طبقاً للقواعد الدبلوماسية ، كان ينبغى أن أتجاهل سؤالك هذا ، وأعتبره تجاوزاً للياقة ؛

إذ ليس من حقكم سؤالنا عن مصادر معلوماتنا ، إلا أننى ، وفى هذه الحالة بالذات ، سأستثنى موقفنا من القواعد الدبلوماسية ، وأجيب سؤالك ، لما فى الجواب من أهمية .

وشدّ قامته على مقعده أكثر ، قبل أن يتابع فى حزم :

ـ السيد رئيس وزرائنا أبرق إلىّ على نحو عاجل ، ليبلغنى بأمر إلقاء القبض على ضابط مخابراتكم ، وطالبنى بإخبار وزير الخارجية المصرى بهذا ، والتقدّم بطلب اعتذار رسمى ودولى من (مصر) ، وإلا ...

قاطعه مدير المخابرات فى هدوء :

ـ وهل طلب منك رئيس وزرائك أن تخبرنى بهذا أيضا ؟!

احتقن وجه السفير الإسرائيلى ، وهو يقول :

ـ هذه المقاطعة أيضا يمكن اعتبارها .....

قاطعه المدير فى صرامة هذه المرة :

ـ هل طلب منك إبلاغ مدير المخابرات المصرية بهذا ؟!

شعر وزير الخارجية بالقلق ، وهو يقول :

ـ رويدكما .. الأمور لا تستحق كل هذا .

التفت إليه السفير الإسرائيلى فى حنق ، قائلاً :

ـ لا تستحق ماذا يا سيادة الوزير ؟! لقد أرسلتم أحد ضباط مخابراتكم إلى دولتى ، ليعيث فيها فسادًا لم نشهد مثله ، ولا حتى على يد المخرّبين العرب .

قال مدير المخابرات فى هدوء ، وبابتسامة ماكرة :

ـ أتقصد الفدائيين الفلسطينيين ؟!

تجاهل السفير الإسرائيلى هذا التعليق ، وإن احتقن وجهه بشدة ، وهو يكمل :

ـ وعندما ننجح فى الإيقاع به ، يعترض مدير المخابرات على إبلاغنا له بالأمر ، الذى أنكر حدوثه فى البداية ، بحجة أن المصادر الدبلوماسية لم تذكره بصفة شخصية .. أى قول هذا ؟!

هزّ الوزير كتفيه ، قائلا فى حذر :

ـ إنه قول سليم ، من الناحية القانونية ، ولكن هذا لا يعنى أن مدير مخابراتنا يرفض التعاون ، فها هو ذا يجلس أمامك ، وربما لأوّل مرة فى تاريخنا ، فقديمًا كانت شخصية مدير المخابرات تظل سرية للغاية ، حتى ينهى عمله .

هتف السفير الإسرائيلى فى حدة :

- ولكنه يرفض الاعتراف بالأمر .

قلب مدير المخابرات كفه ، قائلا فى هدوء :

- أى أمر ؟! حكومتك تقول : إنكم قد ألقيتم القبض على أحد ضباط المخابرات المصريين ، وحكومتى تصر على أنه ليس لديها أى ضابط مخابرات مصرى فى (إسرائيل) .

ثم استدرك بابتسامة خبيثة :

- فى الوقت الحالى .

احتقن وجه السفير الإسرائيلى ، وهو يقول فى حدة :

- إذن فما زلتم تصرون على أن رجلكم (أدهم صبرى) ، الذى ألقينا القبض عليه بالفعل ، ليس ضابط مخابرات مصريًا ، ولا يعمل داخل (إسرائيل) .

صمت مدير المخابرات لحظة ، ثم مال نحوه يسأله فى اهتمام :

- هل تعلم أين تم إلقاء القبض المزعوم هذا ؟!

أجابه السفير الإسرائيلى فى سرعة وصرامة :

- فى فندق (......) ، فى قلب (تل أبيب) ، ولدينا كل ما يثبت هذا .

كان وزير الخارجية يشعر بقلق بالغ ، عندما أعلن السفير الإسرائيلى هذا ، بكل الثقة والحسم ، لذا فقد تفجرت دهشته على نحو غير مسبوق ، عندما استقبل مدير المخابرات هذا الخبر بشىء من الارتياح ، وهو يقول بابتسامة هادئة :

- عظيم .

شاركه السفير الإسرائيلى دهشته هذه ، وهو يهتف مستنكرًا :

- ألا يعنيك أمر ضابط مخابراتكم الأول ؟!

اتسعت ابتسامة مدير المخابرات ، وهو يجيب :

- لقد أكدت لك أنه ليس لدينا ضابط مخابرات بهذا الاسم ، ولو أنكم قد ألقيتم القبض على شخص باسم (أدهم صبرى) ، تتصورون أنه أحد ضباطنا ، فلدى اقتراح محدود فى هذا الشأن .

سأله السفير الإسرائيلى فى عصبية :

- وما هو ؟!

مال مدير المخابرات نحوه ، مجيبًا فى حزم :

- أعدموه .

اتسعت عينا السفير الإسرائيلى فى شدة ، وهو يتراجع بحركة حادة ، وقد بلغت دهشته ذروتها ..

ومن أعماقه ، خُيِّل إليه أن مدير المخابرات المصرى يسخر منه ..

ولكن الشىء الذى أثار حيرته بشدة ، والذى فجَّر كل الدهشة ، فى كيان وزير الخارجية المصرى ، هو أن مدير المخابرات بدا جادًا وحاسمًا فى قوله هذا ..

كما بدا صادقًا ..

إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

اعتدل رجال الحراسة ، على نحو عسكرىّ صارم ، عند (البيت الكبير) ، عندما توقَّفت أمامهم سيارة (جولدمان) المألوفة ، وبرز منها هذا الأخير ، قائلاً فى حزم ، وهو يشير بيده :

- (هرتزل)(*) .

(*) تيودور هرتزل (١٨٦٠ - ١٩٠٤) : صحفى نمساوى ، ومطوِّر الحركة الصهيونية ، وأوَّل من نادى بوطن لليهود فى (فلسطين) ، عندما تحدَّث عن خشيته من الحركات المعادية للسامية ، ولقد أسَّس أوَّل حركة صهيونية عالمية ، ورأس الاجتماع الصهيونى الأوَّل ، فى (بازل) بـ (سويسرا) ، عام ١٨٩٧م الذى قرَّر أن (فلسطين) هى أرض الميعاد ، وأن الحركة الصهيونية حركة دينية ، قاصرة على اليهود وحدهم .

لم يكد رئيس طاقم الحراسة يسمع كلمة السر الخاصة ، التى يتم تغييرها عشوائيًا ، كل ساعتين ، حتى ضغط زر فتح البوابة ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- مرحبًا يا أدون (جولدمان) .. تهانئنى على الإيقاع بذلك الجاسوس .

ابتسم (جولدمان) ، وهو يعبر البوابة بسيارته ، قائلا :

- هل بلغتكم الأخبار بهذه السرعة ؟!

أشار رئيس الطاقم بيده ، وهو يقول فى حماسة :

- أخبار كهذه تصل بسرعة البرق يا أدون (جولدمان) .

تمتم (جولدمان) :

- بالتأكيد .

ثم لوَّح بكفه للرجل ، مستطردًا :

- وهذا يحتِّم إجراء بعض التغيرات الحاسمة .

وافقه رئيس الطاقم بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

- كلنا نتوقَّع هذا يا أدون (جولدمان) .

أوقف (جولدمان) سيارته ، فى الموقع المخصَّص لها ، ثم دلف فى هدوء إلى المبنى ، وسأل أوَّل رجل أمن صادفه :

ـ أين الأسير المصرى الآن ؟!

ارتبك الرجل ، وهو يغمغم :

ـ الواقع يا أدون (جولدمان) أن ... أن ...

توقف (جولدمان) ، واستدار إليه فى صرامة ، قائلاً :

ـ ماذا هناك بالضبط يا هذا ؟! ماذا أصاب الأسير ؟!

ارتبك الرجل بضع لحظات أخرى ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

ـ لست أدرى ماذا حدث بالضبط يا أدون (جولدمان) ، ولكن يبدو أن أحدهم قد حاول التخلص منه ، فقد انتزعوا سلك منظم القلب من جسده ، و ...

صاح به (جولدمان) فى غضب :

ـ وماذا ؟!

ازدرد الرجل لعابه متوترًا ، وعاد يلوح بيده ، قائلاً :

ـ من حسن الحظ أن انتزاع السلك أطلق إشارة فى قسم المراقبة ، وعلى الرغم من أن أدون (إفرام) قد أوقف الإشارة ، فإن مسئول المراقبة قد ذهب لتفقد الأسير ، وأسرع باستدعاء الطبيب لإسعافه ، عندما كشف ما حدث .

انعقد حاجبا (جولدمان) فى غضب هادر ، وهو يميل نحو الرجل ، قائلاً :

ـ أدون (إفرام) .. إذن فالمسئول عن كل هذا هو (إفرام) .

هزَّ رجل الأمن كتفيه ، مجيبًا :

ـ إنه المسئول منذ البداية كما تعلم يا أدون (جولدمان) ، عندما عذَّب الأسير فى القبو ، دون أن تكون لديه أوامر بهذا .

ازداد انعقاد حاجبى (جولدمان) فى شدة ، دون أن يعلق بحرف واحد ، ثم لم يلبث أن أشار بيده ، قائلاً :

ـ قدنى إلى الجناح الطبى .

أجابه الرجل فى حماسة :

ـ أوامرك يا أدون (جولدمان) .

سار الرجل أمامه فى سرعة ، حتى بلغا الجناح الطبى ، وقبل أن يبلغاه ، صك مسامعهما صوت الطبيب ، وهو يصرخ فى غضب :

ـ أنت المسئول يا (إفرام) .. أنت أردت قتله عمدًا .. سأتهمك رسميًا بهذا .

صاح به (إفرام) فى صرامة :

ـ افعلها ، وأقسم أن أنسف رأسك فى الـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، اندفع (جولدمان) إلى المكان ، وبدا شديد الصرامة والغضب ، وهو يقول :

ـ كيف جرؤت على فعل هذا يا (إفرام) ؟!

امتقع وجه رجل الموساد ، وهو يلوّح بيده ، مغمغمًا بصوت مختنق :

ـ على فعل ماذا يا أدون (جولدمان) ؟! إننى ..

قاطعه (جولدمان) بصرخة هادرة :

ـ لا تكذب .

ارتجف جسد (إفرام) ، وهو يتمتم :

ـ صدقنى يا أدون (جولدمان) .. إننى ..

قبل أن يتمّ عبارته ، انقضّ عليه (جولدمان) بغتة ، وكال له لكمة كالقنبلة ، هاتفا بكل غضب الدنيا :

ـ أيها الوغد .

واتسعت عينا الطبيب عن آخرهما ، وهو يتراجع بحركة حادة مذعورة ..

فمع قوة وعنف اللكمة ، ارتفع جسد (إفرام) عن الأرض ، وطار عبر الفراش ، الذى يرقد عليه (قدرى) ،

ليسقط على الجانب الآخر منه ، ويرتطم بالأرض كالحجر .

وفى ذعر ، هتف الطبيب ، وهو يرفع يده ليحمى وجهه :

ـ أنا لم أفعل شيئًا .

أجابه (جولدمان) فى صرامة :

ـ أعلم هذا .

ثم أشار إلى (قدرى) ، مستطردًا :

ـ ولكن بقاءه هنا لم يعد مأمونًا .

تمتم الطبيب فى حذر :

ـ إلى حد ما .

سأله (جولدمان) فى صرامة :

ـ هل يحتاج إلى سيارة إسعاف ، لنقله من هنا ؟!

تطلّع الطبيب إلى (قدرى) بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ لو استعاد وعيه ، فربما ..

قاطعه (جولدمان) بصرامة أكبر :

ـ أتكلّم عن الآن .

عاد الطبيب يلقى نظرة على (قدرى) ، ثم أجاب :

- يمكننا استدعاء سيارة إسعاف ، من المستشفى التابع لنا ، و ...

قاطعه (جولدمان) مرة أخرى :

- أهذا أمر حتمى .

هزَّ الطبيب رأسه نفيًا ، وقال فى سرعة :

- ليس بالضرورة .

مطَّ (جولدمان) شفتيه ، وأومأ برأسه ، قبل أن يقول فى حزم :

- أعمل على نقله إلى سيارتى إذن .

هتف الطبيب مبهوتًا :

- إلى سيارتك .

أجابه فى صرامة :

- بالتأكيد .. لا نريد لفت الانتباه إلينا ، ونحن ننقل أسيرًا مهمًا كهذا من هنا .. أليس كذلك ؟!

حدَّق الطبيب فى وجهه بضع لحظات أخرى فى دهشة ، قبل أن يغمغم :

- أمرك يا أدون (جولدمان) .

ولم يكن الطبيب وحده من شعر بالدهشة والحيرة ، إزاء هذا التصرُّف البالغ الغرابة ، فرئيس طاقم

الحراسة أيضًا بدا شديد التوتر ، وهو يتطلع إلى (قدرى) الفاقد الوعى ، إلى جوار الطبيب ، فى المقعد الخلفى لسيارة (جولدمان) ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، قائلاً :

- كنت أتصوَّر أن هذا الأسير مهم للغاية ، حتى إنه لا ينبغى المخاطرة به قط .

أجابه (جولدمان) فى صرامة :

- إنه كذلك .. ولهذا لا بد من نقله من هنا الليلة ، مهما كانت الأسباب .

ألقى رئيس الطاقم نظرة أخرى محنقة على (قدرى) ، ثم دار حول السيارة كلها ، وكأنه يفحصها بمنتهى الدقة ، قبل أن يشير إلى جزء منبعج عند رفرفها الأيسر الأمامى ، وقال :

- إنك لم تصلح هذه الإصابة بعد يا أدون (جولدمان) .

غمغم (جولدمان) ، فى ضجر ساخط :

- ليس لدى الوقت لأفعل .

ثم استطرد فى صرامة غاضبة :

- هيا يا رجل .. افتح البوابة .. لا تضيع المزيد من الوقت .



فرئيس طاقم الحراسة أيضًا بدا شديد التوتر ، وهو يتطلع إلى (قدرى) الفاقد الوعى إلى جوار الطبيب . .

لم يستجب الرجل للأمر مباشرة ، وإنما سأل فى اهتمام :

- إلى أين سيتمّ نقله ؟!

انعقد حاجبا (جولدمان) ، وهو يقول فى صرامةً :

- ليس هذا من شأنك .

مطّ رئيس الطاقم شفتيه فى حنق ، ودار دورة أخرى حول السيارة ، فصاح به (جولدمان) فى غضب :

- كم دورةً ستتمّها ، قبل أن تفتح هذه البوّابة اللعينةَ .

مطّ الرجل شفتيه مرة أخرى ، وقال فى صرامة :

- الواقع يا أدون (جولدمان) أنه يدهشنى كثيرًا أن ...

قاطعه (جولدمان) بصيحة غاضبة هادرة :

- يدهشك .

ثم مال نحوه فى حدةً ، مستطردًا :

- اسمع يا هذا .. ربما كنت رئيسًا لطاقم البلهاء هذا ، ولكنك بالنسبة لى مجرّد بوّاب .

اتسعت عينا الرجل فى دهشة واستنكار ، ولكن (جولدمان) تابع فى غضب مخيف :

- دعنى أكررها مرة أخرى .. نعم .. أنت بالنسبة لنا مجرد بواب ، كل مهمته أن ينظم عمليات الدخول والخروج ، إلى ومن (البيت الكبير) ، بناء على قواعد وتعليمات نصدرها نحن .. أو بمعنى أكثر دقة : أصدرها أنا ، باعتبارى أكبر سلطة فى المكان ، وهذا يعطينى أيضًا سلطة إلغاء هذه الأوامر ، أو تجميدها ، أو استبدالها بأوامر وقواعد أخرى ، كلما ، ووقتما يحلو لى ، أو تقتضى الظروف هذا ، ومهمتك عندئذ ستقتصر أيضًا على تنفيذ أوامرى الجديدة ، ولن يحق لك ، كما لا يحق لك الآن ، أن تناقش أو تعترض .. هل تفهم؟! هل تفهمنى جيدًا يا بواب (البيت الكبير) ؟!

ارتفع حاجبا الطبيب فى دهشة ، داخل السيارة ، مع هذا الموقف الشديد الصرامة ، فى حين تراجع رئيس طاقم الحراسة بوجه ممتقع ، وهو يحدق فى وجه (جولدمان) بدهشة أكبر ، قبل أن يقول فى ارتباك :

- معذرة يا أدون (جولدمان) .. أنا لم أقصد الإساءة إليك قط ، ولكن .. ولكننى ...

قاطعه (جولدمان) فى حدة :

- ولكنك ماذا ؟!

ازدرد الرجل لعابه فى صعوبة ، وهو يغمغم :

- ولكننى أحتاج إلى أمر رسمى .. أى شىء يعفينى من المسئولية مستقبلا .

سأله (جولدمان) فى حدة :

- شىء مثل ماذا ؟!

بدت الحيرة على وجه الرجل لحظة ، قبل أن يهتف :

- توقيعك على تصريح بخروج الأسير بصحبتك .

انعقد حاجبا (جولدمان) ، وهو يقول :

- أهذا يكفيك ؟!

هتف الرجل فى حماسة :

- بالتأكيد .

مط (جولدمان) شفتيه ، قائلاً :

- لا بأس .

ثم أشار بيده ، مستطردًا فى حنق :

- دعنا ننه هذا الأمر فى سرعة .

أسرع الرجل يحضر التصريح اللازم ، وناوله إياه ، قائلاً :

- توقيعك يا أدون (جولدمان) .

التقط (جولدمان) القلم ، وذيّل التصريح بتوقيعه ، ثم أعاده إليه ، قائلاً فى صرامة عصبية حادة :

- والآن .. افتح البوّابة .

هتف الرجل :

- فورًا يا أدون (جولدمان) .

وأسرع يضغط زر فتح البوّابة بالفعل ، فى حين عاد (جولدمان) إلى سيارته ، وأدار محركُها فى هدوء ، ورئيس الطاقم يلقى نظرة على التوقيع ، ليتأكد من أن كل شىء على ما يرام ، و ...

« يا للشيطان ! هذا ليس توقيع أدون (جولدمان) .. »

هتف رئيس الطاقم بالعبارة فى انزعاج شديد ، فارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (جولدمان) ، وهو يقول :

- بالتأكيد أيها الوغد ؛ فأنا لست (مانير جولدمان) .

قالها ، وضغط دوّاسة الوقود بكل قوته ، لتندفع السيارة إلى الأمام ، نحو البوّابة نصف المفتوحة ، التى لم تكتمل حركة أبوابها الإليكترونية بعد ،

والطبيب يطلق شهقة هلع مذعورة ذاهلة ، فى المقعد الخلفى ..

وبكل غضبه ، صرخ رئيس طاقم الحراسة :

- أوقفوه .

وارتفعت فوهات رجال الحراسة كلهم نحو السيارة ..

وانطلقت النيران كالمطر ..

أو كالحمم .

★ ★ ★



٢ - المقاتل ..

« لا أثر لسيارتك فى المنطقة كلها يا أدون (جولدمان) .. »

ألقى (دافيد) العبارة فى توتر ، وهو يشير بيده لرئيسه (جولدمان) ، قبل أن يضيف فى عصبية :

- والتأخير هنا ليس لصالحنا أبدًا .. فلنستخدم سيارة أخرى ، حتى نصل بخصمنا إلى سجنه ، وبعدها نبحث عن سيارتك .

قال (جولدمان) فى توتر شديد :

- السؤال هو : لماذا اختفت ، فى هذه الظروف بالذات ؟! ما الذى وراء هذا ؟! بل من الذى وراءه ؟!

أخفى (دافيد) ابتسامته ، وهو يقول :

- ليس من الضرورى أن يرتبط كل شىء بالتآمر يا أدون (جولدمان) ، ففى معظم الأحوال ، تكون هناك تفسيرات أكثر بساطة للأمور .

سأله (جولدمان) فى حدة :

- مثل ماذا أيها العبقرى ؟!

هزّ (دافيد) كتفيه ، قائلاً :

- لقد وصلنا إلى هنا فى حالة انفعال شديد ، وربما غادرت السيارة ، وتركت المفاتيح داخلها ، مما أغرى أحد لصوص السيارات بسرقتها .

انعقد حاجبا (جولدمان) ، وبدا له التفسير منطقيًا إلى حد ما ، فقال فى عصبية :

- أنت تعلم أنها ليست سيارة عادية .

وافقه (دافيد) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- بالتأكيد .. يكفى أنها سيارتك .

ثم أشار بيده ، مستطردًا :

- ولكن ألا توافقنى على ضرورة الإسراع بنقل (أدهم صبرى) إلى زنزانته الخاصة ؟! أليس هذا أكثر أهمية من البحث عن سيارتك .

تمتم (جولدمان) ، دون أن يستطيع إخفاء حنقه :

- بالتأكيد .

ثم أشار إلى أحد رجاله ، هاتفًا :

- أحضر سيارة أخرى .

لم تمض دقائق خمس ، حتى بدأ الموكب تحركه ،

وغمغم (دافيد) ، وهو يحاول الاسترخاء فى مقعده ، داخل السيارة الجديدة :

- لم أتصور أن ينتهى هذا الأمر أبدًا .. إننا نعمل بلا توقف ، منذ فترة طويلة للغاية .

رفع (جولدمان) يده ، ليلقى نظرة على ساعته الخاصة ، وهو يقول :

- إننا نلهث خلف هذا الشيطان ، منذ أكثر من ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يصرخ :

- اللعنة !

اعتدل (دافيد) فى حركة حادة ، والتفت إليه ، هاتفًا :

- ماذا حدث ؟!

صاح (جولدمان) :

- ساعتى الخاصة .. لقد اختفت .

هتف (دافيد) فى دهشة :

- اختفت ؟! كيف ؟!

صاح (جولدمان) فى غضب :

- لست أدرى .. لقد اختفت فحسب .. لم يعد لها وجود .

سأله (دافيد) فى قلق شديد :

- هل سقطت من يدك ؟!

صاح (جولدمان) فى حدة :

- مستحيل !

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع رنين هاتف (دافيد) الخلوى ، فامتدت يد هذا الأخير تلتقطه بحركة غريزية ، وقال فى عصبية :

- (دافيد بلو) .. من المتحدث ؟!

أتاه صوت زوجته (ليليان) ، وهى تقول فى عصبية :

- (دافيد) .. لقد ترددت فى التحدث إليك طويلا ، ولكن ...

قاطعها فى حدة :

- الوقت غير مناسب إطلاقًا ، لأية أحاديث خاصة يا (ليليان) .

هتفت :

- لا تغلق الخط .. إنه ليس حديثًا خاصًا على الإطلاق .. إنه أمر يخص العمل .

سألها فى عصبية :

ـ أى عمل ؟!

أجابته فى سرعة :

ـ (أدهم صبرى) .

التقطت أذنا (جولدمان) الكلمة ، فقال فى حدة :

ـ لم يعد أمر ذلك الشيطان يهمنا .. لقد أوقعنا به بالفعل .

تابعت (ليليان) ، وكأنها لم تسمع ما قاله (جولدمان) :

ـ لقد زرع جهاز تنصُّت فى منزلنا بالفعل .

كاد (دافيد) يقفز من مقعده ، صائحًا :

ـ ماذا ؟!

التقطت أذنا (جولدمان) عبارة (ليليان) الأخيرة أيضًا ، فهتف :

ـ جهاز تنصُّت ؟! إنها كارثة ! ترى ما الذى حصل عليه منك ومن زوجتك الثرثارة ، ومن ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وعقله يسترجع أمورًا شتى ، فى ثانية واحدة ..

اختفاء سيارته ..

ساعته الخاصة المفقودة ..

جهاز التنصُّت فى شقة (دافيد بلو) ..

اختطاف (أدهم) السابق له ..

العثور عليه فاقد الوعى فى سيارته ..

وتوقَّف عقله عند نقطةٍ واحدة ، راحت تتردَّد فى أعماقه على نحو مخيف ..

جهاز التنصُّت ..

جهاز التنصُّت ..

جهاز التنصُّت ؟!

« قف .. »

انطلقت صيحته بغتة ، فقفزت قدم السائق إلى الفرامل بحركة غريزية ، وتوقَّفت السيَّارة فى حدة ، وإطاراتها تطلق صريرًا مزعجًا ..

وبصعوبة ، تفادت السيارةَ المصفحةَ الارتطام بها ، وهتف قائدها فى انزعاج شديد :

ـ ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟!

ودون أن يجيب (جولدمان) ، قفز من السيارة ، واندفع نحو السيَّارة المصفَّحة ، وهتف بقائدها :

ـ توقَّف على جانب الطريق .

أوقف الرجل السيارةِ على جانب الطريق بالفعل ،

وراح (جولدمان) يفتح رتاجها الخاص فى عصبية زائدة ، جعلت (دافيد) يهتف ، وهو يلحق به :

- ماذا حدث يا أدون (جولدمان) ؟! ماذا أصابك ؟!

أجابه (جولدمان) فى غضب ، وهو يفتح الرتاج :

- أخشى أن ذلك الشيطان قد خدعنا مرة أخرى يا (دافيد) .

انتفض جسد (دافيد) فى عنف ، وكأنما أصابته ألف صاعقة ، وهو يهتف بصوت مختنق متحشرج :

- خدعنا ؟!

قفز (جولدمان) داخل السيارة ، وهو يصيح فى جنود القوات الخاصة العشرة :

- ابتعدوا .

ابتعد الرجال فى حركة آلية ، ورفعوا فوهات مدافعهم الآلية إلى أعلى ، فى نفس اللحظة التى وثب فيها (دافيد) داخل السيارة ، هاتفًا فى ارتياع :

- مستحيل يا أدون (جولدمان) ! مستحيل أن يكون قد خدعنا ! لقد شاهدنا وجهه جميعًا ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، انحنى (جولدمان) ، وجذب وجه الراقد أمامه ، و ...

واتسعت عيون الجنود العشرة ، عندما انتزع الوجه عن صاحبه ، فى حين أطلق (دافيد) صيحة مذعورة ، وهو يحدّق فى الرجل الأشقر ، الفاقد الوعى ، على أرضية السيارة ، ثم ينقل بصره إلى القناع الذى يحمل وجه (أدهم) ، فى قبضة (جولدمان) ، الذى هتف بصوت أقرب إلى البكاء :

- لقد فعلها .

وعندئذ عجزت ساقا (دافيد) عن حمله ..

فسقط أرضًا ..

بمنتهى العنف ..

★ ★ ★

انطلقت صرخة ذعر من بين شفتى الطبيب ، وهو يلقى نفسه فى الفراغ ، بين مقعدى السيارة ، الأمامى والخلفى ، عندما دوت طلقات الرصاص ، التى أطلقها رجال الحراسة ، على سيارة (جولدمان) ، إلا أن (أدهم) ، الذى يحمل وجه الإسرائيلى ، ضغط دوّاسة الوقود بسرعة أكبر ، وهو يهتف فى سخرية :

- يا للنذالة ! أتطلقون النار على سيارة رئيسكم ؟!

ارتطمت الرصاصات بجسم السيارة وزجاجها ،

وارتدت عنهما فى عنف ، و(أدهم) يثب بها نحو البوابة ، مستطردًا :

- ولكن من سوء حظكم أنها ليست سيارة عادية .

وارتطم بالبوابة ، ليطيح بأحد جانبيها ، متابعًا :

- إنها سيارة مصفحة .

صرخ رئيس طاقم الحراسة ، فى هذه اللحظة :

- الإطارات .. أطلقوا النار على الإطارات .

وفى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها صرخته ، تحركت السيارة المدرعة ، التى تحمى المبنى ، لتعترض طريق سيارة (جولدمان) ..

وفى مهارة مذهلة ، مال (أدهم) إلى اليسار ، وتجاوز الجانب المحطم من البوابة ، ثم انحرف بحركة حادة إلى اليمين ، متفاديًا السيارة المدرعة ، ووثب أمام مقدمتها الكبيرة ، ثم أدار عجلة القيادة مرة أخرى إلى اليسار ، فى سرعة مذهلة ، ليحتمى بجسم السيارة المدرعة ، عندما انطلقت رصاصات رجال الحراسة نحو إطارات سيارته ..

ومع تلك المناورة المزدوجة المدهشة ، أصابت رصاصات رجال الحراسة كلها جسم السيارة المدرعة ،

التى ارتبك قائدها بدوره ، وحاول أن يدور بها ، لمنع سيارة (أدهم) من الفرار ، فى حين صرخ رئيس طاقم الحراسة :

- لا تسمحوا له بالفرار .. سيقتلوننا بلا رحمة لو فعل .

واصل فريق من رجال الحراسة إطلاق النار ، فى حين قفز فريق آخر إلى سيارة (جيب) قوية ، وانطلقوا خلف (أدهم) ، فى حين راحت السيارة المدرعة تدور حول نفسها ، وتوجه مدفعها إلى سيارة (أدهم) ، التى تبتعد بسرعة كبيرة ..

وانطلق المدفع ..

وعلى مسافة متر واحد ، خلف سيارة (أدهم) ، دوى الانفجار ..

كان انفجارًا قويًا عنيفًا ، حتى إن مؤخرة السيارة وثبت إلى أعلى على نحو مخيف ، قبل أن ترتطم بالأرض ثانية ، وتواصل انطلاقها بنفس السرعة ، والطبيب يطلق صرخة عالية متصلة ، جعلت (أدهم) يهتف به :

- تماسك يا رجل ، أو غادر السيارة .

هتف الطبيب مذعورًا :

- إننى أفضّل مغادرتها بأقصى سرعة ، فوجودى معك ، فى أثناء فرارك من (البيت الكبير) ، سيضعنى فى موقف سيئ للغاية .

ثم ازدرد لعابه ، قبل أن يستطرد مبهوتًا :

- ولكن من أنت بالضبط ؟! وكيف انتحلت شخصية أدون (جولدمان) ، على هذا النحو المذهل ؟!

تجاهل (أدهم) أسئلته ، وهو يقول فى صرامة :

- غادر السيارة .

اتسعت عينا الطبيب فى ارتياع ، وهو يسأله :

- ألن تتوقّف لحظة لأفعل ؟!

أجابه (أدهم) فى سخرية :

- هل تعتقد أن الظروف مناسبة لهذا ؟!

صاح الطبيب مذعورًا :

- ماذا تعنى ؟! هل أغادر السيارة ، وأنت تنطلق بها بهذه السرعة ؟!

كان (أدهم) ينطلق بأقصى سرعته بالفعل ، و(الجيب) تطارده فى إصرار ، فأجاب فى صرامة :

- هذا أفضل ما يمكنك أن تفعله .. سنبلغ منطقة

رملية بعد قليل ، وعندما نصل إليها ، سأنحرف نحو الرمال ، وعليك أن تقفز عندئذ ، وإلا ...

ازدرد الطبيب لعابه فى صعوبة ، مغمغمًا :

- وإلا ماذا ؟!

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

- وإلا فستضطر لمشاركتنا مصيرنا .

امتقع وجه الطبيب ، وانكمش فى مقعده فى رعب ، وهو يتخيّل نفسه يثب من السيارة ، وهى تنطلق كالقذيفة ..

ثم انتفض جسده دفعة واحدة ، مع دوى الرصاصات ، التى أطلقها جنود (الجيب) على سيارة (جولدمان) ، والتى ارتطمت بجسمها المصفح ، وارتدت عنه فى عنف ، برنين مزعج مخيف ، جعل الطبيب يهتف منهارًا :

- لقد بذلت قصارى جهدى لإسعاف زميلك .

أجابه (أدهم) :

- وأنا أقدّر هذا كثيرًا .

ثم أضاف فى حزم :

- ولهذا أريد منك أن تغادر السيارة ، حتى لا تتورّط فى الأمر أكثر .

وصمت لحظة ، قبل أن يقول :

ـ هذا لصالحك .

ازدرد الطبيب لعابه مرة أخرى ، فى صعوبة أكبر ، وعاد ينكمش فى مقعده ، ولكن (أدهم) تابع فى حزم :

ـ استعد .

هتف الطبيب بأنفاس مبهورة :

ـ بهذه السرعة .

صاح به (أدهم) فى صرامة ، مكررًا :

ـ استعد .

ثم مال نحو الرمال فى سرعة ، هاتفًا :

ـ الآن .

فتح الطبيب باب السيارة ، واتسعت عيناه فى رعب ، وهو يحدق فى الأرض ، التى تنهبها السيارة نهبًا ، فصاح (أدهم) ، وهو يلتفت إلى الخلف ، ويدفعه بيده فى قوة :

ـ اقفز .

صرخ الطبيب فى ذعر ، وهو يسقط خارج السيارة ، ويرتطم بالرمال ، ويتدحرج فوقها فى قوة ، فى نفس

اللحظة التى انطلق فيها صرير قوى ، من إطارات (الجيب) ، وهتف أكبر رجال الحراسة فى صرامة :

ـ انظروا من قفز من السيارة .

قفز اثنان من الجنود من (الجيب) ، واندفعا نحو الطبيب ، وأشهرا مدفعيهما فى وجهه ، فى حين واصلت (الجيب) مطاردة (أدهم) ، والطبيب يرفع ذراعيه ، ويصرخ مذعورًا :

ـ أنا طبيب إسرائيلى .. أنا أعمل معكم فى (البيت الكبير) .. هو ألقانى خارج السيارة .

ثم تفجرت الدموع من عينيه ، وهو يستطرد فى انهيار :

ـ هو فعلها .

أما (أدهم) ، فلم يكد يتخلص من الطبيب ، حتى ضغط دواسة الوقود أكثر ، وهو يلقى نظرة عبر مرآة السيارة ، على (قدرى) الفاقد الوعى ، مغمغمًا :

ـ أعذرنى على عنف قيادتى يا صديقى ، ولكن صدقنى .. إننى أفعل هذا من أجلك .

انطلقت رصاصات (الجيب) خلفه مرة أخرى ، فقفز بسيارته مرة أخرى إلى الأمام ، ثم انحرف بها

على نحو حاد ، وتجاوز الطريق الممهد ، وانطلق بسرعة خرافية ، تكاد تبلغ الحد الأقصى لمحرك السيارة ، فى المنطقة غير الممهدة ..

ودون أدنى تردد ، انحرفت خلفه (الجيب) ، وزاد قائدها من سرعتها ، وهو ينطلق بها فى مهارة ..

وعلى الرغم من أن سيارة (جولدمان) لم تكن مؤهلة للانطلاق على الأرض غير الممهدة ، وعلى الرغم من ارتجاجاتها العنيفة ، التى أسقطت (قدرى) على جانبه ، وجعلته ينحشر فى الفراغ بين المقعدين ، فقد اتسعت المسافة بين السيارتين ، على نحو ملحوظ ، جعل قائد (الجيب) يهتف فى غضب :

ـ زد السرعة يا رجل .. الحق به بالله عليك .

تصبب العرق على وجه سائق السيارة ، وهو يقول :

ـ إننى أنطلق بأقصى سرعة بالفعل يا سيدى .

انعقد حاجبا القائد فى غضب هادر ، وهو يهتف :

ـ لا بد من اللحاق به .. لا بد .

بذل السائق جهدًا حقيقيًا ، لتتبع السيارة الرياضية ، التى راحت تختفى وسط الظلام ..

وتختفى ..

وتختفى ..

ثم تلاشت تمامًا ..

وفى عصبية شديدة ، هتف قائد (الجيب) :

ـ اللعنة ! أين ذهب ؟!

كانت (الجيب) تقترب من الطريق الرئيسى العكسى ، عبر المنطقة غير الممهدة ، وعيون جنودها كلها تحدق فى الظلام ، بحثًا عن السيارة ، و ...

وفجأة .. هتف أحد الجنود :

ـ ها هى ذى .

انطلق هتافه ، وهو يشير فى انفعال إلى سيارة (جولدمان) ، التى توقفت على جانب الطريق ، فانحرف نحوها سائق (الجيب) فى سرعة ، وهتف قائدها ، وهو يمسك مدفعه الآلى فى تحفز :

ـ حاولوا إلقاء القبض عليه حيًا بقدر الإمكان .

لم تكد (الجيب) تتوقف إلى جوار سيارة (جولدمان) ، حتى قفز منها الجنود وأحاطوا بالسيارة ، ومدافعهم مصوبة إليها فى تحفز شرس ، فى حين هتف قائدهم فى صرامة :

ـ استسلم أو ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق فى السيارة ، قبل أن يهتف :

- اللعنة .

فقد كانت سيارة (جولدمان) ، الرابضة أمامهم ، خالية ..

خالية تمامًا ..

★ ★ ★

احتقن وجه (جولدمان) فى شدة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، واختنقت الكلمات فى حلقه بضع لحظات ، قبل أن يصرخ بكل غضب الكون ، عبر هاتفه الخلوى :

- هرب ؟! تقول : إنه أخرج الأسير ، ثم اختفى معه ؟! أخرجه من (البيت الكبير) ، بكل هذه البساطة ؟!

كاد قلب (دافيد) يتوقف ، من شدة الهلع ، وهو يهتف :

- هرب ؟! من يقصدون يا أدون (جولدمان) ؟! من يقصدون ؟!

لم يشعر (جولدمان) حتى بوجوده ، ورئيس طاقم أمن (البيت الكبير) يجيبه عبر الهاتف :

- لقد كان الأمر متقنًا على نحو مذهل يا أدون (جولدمان) .. لقد وصل إلى هنا بسيارتك ، وكان يعرف كلمة السر العشوائية ، التى يتم تغييرها كل ساعتين ، كما أنه يشبهك تمامًا ، بهيئتك ، وصوتك ، وأسلوبك .. كيف يمكننا الشك فى شخص كهذا ؟!

ألقى (جولدمان) جسده فوق أقرب مقعد إليه ، وهو يصرخ بصوت مختنق :

- وكيف سمحت له بالخروج مع الأسير ؟! كان من الضرورى أن تمنعه بأى ثمن كان !

أجابه رئيس الطاقم فى عصبية :

- لاحظ أننى كنت أواجهك أنت لا هو ، وأنت من أصدر الأوامر كلها ، فكيف أمنعك من الخروج بصحبته ، وقد أمرتنى بهذا .

احتقن وجه (جولدمان) أكثر ، ولوّح بذراعه فى الهواء مرتين ، وكأنما يحاول عبثًا قول شىء ما ، إلا أن صوته ، الذى نجح أخيرًا فى تجاوز حلقه ، قد بدا باهتًا ، شاحبًا ، مختنقًا ، متخاذلاً ، وهو يقول :

- وماذا فعلتم ، بعد ما كشفتم أمره ؟!

ازدرد رئيس الطاقم لعابه ، وتمتم :

ـ لقد طاردناه ، ولكن .. ولكنه اختفى .

صرخ (جولدمان) :

ـ اختفى ؟! كيف ؟! هل طار ؟! تلاشى ؟! وماذا عن (قدرى) ؟! ماذا عن الأسير ؟! هل اختفى أيضًا بحجمه الهائل هذا ؟!

غمغم الرجل ، فى توتر بالغ :

ـ لقد كانت السيارة خالية تمامًا ، و ...

قاطعه (جولدمان) بصرخة هادرة :

ـ اذهب إلى الجحيم .

ثم أنهى الاتصال ، وهو يلتفت إلى (دافيد) ، الذى دفن وجهه بين كفيه ، مرددًا فى انهيار :

ـ يا للمصيبة ! يا للكارثة !! لقد انتهى أمرنا .

بدا (جولدمان) شاحبًا على نحو مخيف ، وهو يقول فى مرارة :

ـ إنه فشل لم تشهد له (إسرائيل) مثيلاً من قبل .. سيصنعون منا عبرة لمن يعتبر .. سيذبحوننا ذبحًا ، ويلقون جثثنا للكلاب .

ثم لوّح بسبّابته فى وجهه ، متابعًا :

ـ ومبادرتك السخيفة بإطلاق الخطة (أ) ستتحوّل إلى حبل ، يلتفّ حول عنقك حتى الموت .

هتف (دافيد) :

ـ حول عنقى أنا ؟! هل نسيت أنك قد نسبت الأمر إلى نفسك ، عندما كنت تتحدّث مع رئيس الوزراء ؟!

امتقع وجه (جولدمان) أكثر ، وهو يتمتم :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فيما أمامه ، قبل أن يهتف فى سخط مرير :

ـ إنه ذلك الشيخ .. لقد سخر منا مرة أخرى .. ألقى بديلاً زائفًا بين أيدينا ، ثم عاد إلينا فى هيئة نائب الكنيست المزعوم ، لينشل ساعتى ، ويسرق سيارتى .

اعتدل (دافيد) فى حركة حادة ، قائلاً :

ـ السؤال هو : لماذا ؟!

التفت إليه (جولدمان) ، مغمغمًا فى عصبية :

ـ لماذا ... ماذا ؟!

أجابه فى صرامة ، لا تتناسب مع فارق الرتب بينهما :

ـ لماذا نشل ساعتك ، وسرق سيارتك بالتحديد ؟!

أجاب (جولدمان) فى حدة :

ـ يا له من سؤال ! ليتمكن من دخول (البيت الكبير) بالطبع .

أشار (دافيد) بسبابته ، قائلاً :

ـ ربما يفسر هذا سرقته لسيارتك ، ولكن ماذا عن ساعتك ؟! ما الذى جذبه إليها .

صاح (جولدمان) :

ـ ليعرف منها كلمة السر العشوائية بالطبع أيها الـ ...

بتر عبارته دفعة واحدة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وكاد يهتف بعبارة أخرى ، لولا أن أشار إليه (دافيد) بسبابته ، قائلاً فى حزم :

ـ سترتك يا أدون (جولدمان) .

انتزع (جولدمان) سترته فى سرعة ، وراح يفحص كل سنتيمتر منها فى اهتمام بالغ ، قبل أن تتسع عيناه عن آخرهما ، وهو يحدق فى جهاز تنصت حديث بالغ الصغر ، فى حجم رأس الدبوس ، التصق بطرف كمه ، فى حين قال (دافيد) فى غضب

ـ كان ينبغى أن نستنتج هذا .

ثم انتزع جهاز التنصت فى عنف ، وألقاه عبر النافذة ، وهو يستطرد ساخطا :

ـ لقد أفقدك الوعى لهذا الغرض بالتحديد .

وزفر فى حنق ، مضيفا :

ـ ذلك اللعين كان يستمع إلى ما نقول طوال الوقت .

عض (جولدمان) شفتيه ، قائلا فى مرارة :

ـ إذن فأنا أخبرته بنفسى بوسيلة الدخول إلى (البيت الكبير) .

قالها ، ودار حول نفسه فى سخط شديد ، وهو يلتقط سترته ، ويرتديها ، قبل أن يهتف فجأة فى غضب صارم :

ـ ولكن لا .. المباراة لم تنته بعد .

ثم التقط هاتفه المحمول ، وضغط أزراره ، مستطردا فى حزم :

ـ نجاحه فى تهريب (قدرى) شىء ، وخروجه من (إسرائيل) شىء آخر .

غمغم (دافيد) فى سخط :

ـ كنا نقول هذا عن دخوله إلى (إسرائيل) .

قال (جولدمان) فى حدة :

- لقد هبط إلينا بمظلة ، ولكن من سوء حظه أنها لن تعود به إلى السماء قط .

ثم التفت إلى محدثه على الهاتف ، مستطردًا بلهجة آمرة صارمة :

- هنا (جولدمان) .. (مانير جولدمان) .. أريد تنفيذ الخطة المعروفة باسم (القفص) .. سنغلق كل مداخل ومخارج (إسرائيل) .. لن نسمح بخروج أحد ، سوى السواح الذين دخلوا بتأشيرة رسمية ، يتم فحصها فى قسم التزييف والتزوير ، للتأكد من صحتها ، وكل من خلاف هذا يتم احتجازه ، وعرضه على السلطات المسئولة ، وهذا ينطبق على كل المنافذ .. البرية والبحرية ، والجوية أيضًا ، وعلى كل المستويات .. يتم تنفيذ هذا الأمر اعتبارًا من هذه الدقيقة .

وأنهى الاتصال ، وهو يلتفت إلى (دافيد) ، ويقول مستعيدًا كل نشاطه وحيويته وحماسته ، على الرغم من دقة الموقف :

- ما دام ذلك الشيطان يتحرك فى سرعة ، فعلينا أن نتحرك كالبرق .. سنفحص كل ما لدينا ..

استجوبوا ذلك السائح الأمريكى ، الذى كان يرتدى قناع (أدهم) ، وراجعوا كل ما يتعلق به .. لدى شكوك كبيرة فى أنه يعمل بالتعاون مع ذلك المصرى .. ووزعوا نشرة بأوصاف (قدرى) ، فى كل المطارات والموانى ، وفى نقاط التفتيش ، فى الطرق البرية ، وعند منافذ الحدود ، فذلك الشيطان لن يغادر (إسرائيل) ، بعد كل ما فعله ، دون أن يصطحب معه خبير التزييف والتزوير .

سأله (دافيد) فى اهتمام :

- وماذا عن (راشيل) ؟

انعقد حاجبا (جولدمان) ، وهو يقول فى صرامة :

- تلك الجاسوسة وثيقة الصلة بـ(أدهم صبرى) ، منذ وصوله إلى هنا ، وربما كانت أكثر من يفهم ما سيفعله ، فى المرحلة القادمة .. لذا ..

صمت لحظة ، أطل خلالها الشر كله من عينيه ، ممتزجًا بقدر هائل من الغضب والشراسة والوحشية ، قبل أن يضيف :

- فسأستجوبها بنفسى ..

كان هذا يعنى ، بالنسبة لـ (أدهم صبرى) ، جولة جديدة من الصراع ..

جولة أكثر وحشية ..

وعنفا ..

أما بالنسبة للمسكينة (راشيل فريمان) ، فقد كان هذا هو الجحيم ..

الجحيم بعينه .

★ ★ ★



٤- فى القفص ..

ازدرد (قدرى) لعابه فى صعوبة ، وهو يهز رأسه يمنة ويسارًا ، ويتحسس عنقه المكتظ بالشحم ، وكأنما يحاول اختراقه ، لبلوغ حلقه الجاف ، وهو يتمتم بصوت متحشرج ، مختنق :

- أين أنا ؟! ماذا حدث ؟!

شعر بيد حانية تتحسس جبهته ، وبصوت هادئ مشفق ، يقول :

- اطمئن يا صديقى .. أنت هنا ، وكل شىء على ما يُرام .

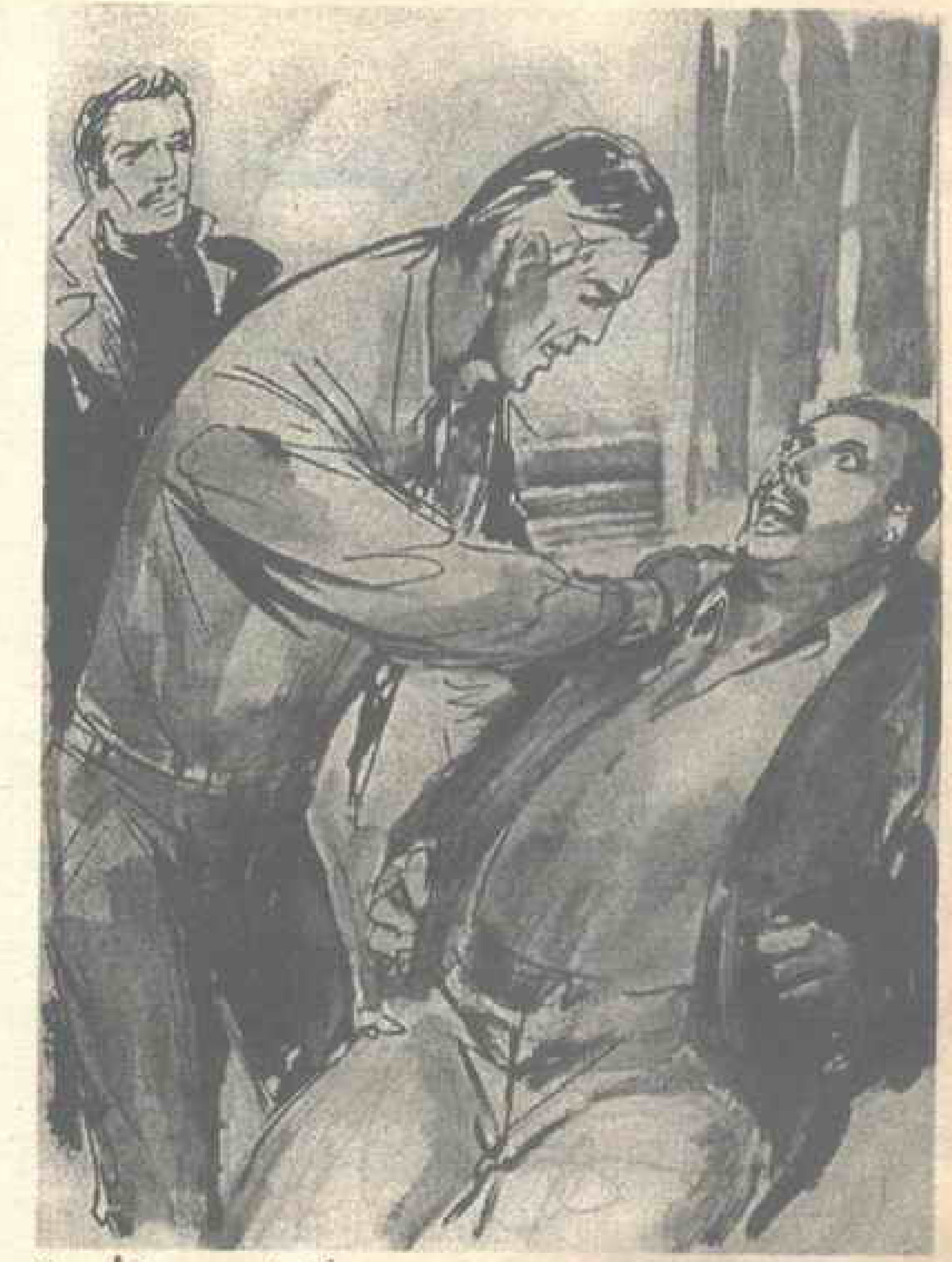
ولم يصدق عقله ما سمعته أذناه فى البداية ..

أهو صوت (أدهم) حقًا ؟!

أهذا ممكن ؟!

صوت (أدهم) ، فى قلب هذا الجحيم ؟!

وبحركة سريعة ، انفتحت عيناه ، وحدق فى وجه (أدهم) لحظة ، قبل أن يصرخ :



وبحركة سريعة ، انفتحت عيناه ، وحدّق فى وجه (أدهم) لحظة ، قبل أن يصرخ : ـ أدهم .. صديقى .

ـ (أدهم) .. صديقى .

واعتدل على فراشه ليحتضنه فى حرارة ، وتفجرت دموع الفرح من عينيه غزيـرة ، وهو يهتف بصوت متهدّج :

ـ كنت أعلم أنك ستفعلها .. كنت واثقًا من أنك لن تتركنى فى قبضة هؤلاء الأوغاد .

ابتسم (أدهم) فى حنان ، وهو يقول مازحًا :

ـ الواقع أننا فكرنـا فى تركـك هنـا ، حتـى تعانى (إسرائيل) من المجاعة ، فى غضون بضعة أشهر .

قهقه (قدرى) ضاحكا ، وهو يربت على كتفيـه ، قائلا :

ـ بل قل بضعة أيام .

ثم مسح دموعـه بأصابعه ، وتطلـع إلـى (أدهم) بابتسامة كبيرة حانية ، مغمغما فى تأثر :

ـ لست أدرى كيف أشكرك على إنقاذى يا صديقى .

ربّت (أدهم) على كتفه المكتظ ، قائلا :

ـ ومنذ متى كان الأصدقاء يحتاجـون إلى كلمـات الشكر ؟!

عادت دموع (قدرى) تنهمر ، وهو يتمتم :

- هذا هو (أدهم) الذى أعرفه .

ربت (أدهم) على كتفه مرة أخرى ، قبل أن يقول فى جدية :

- معذرة يا صديقى .. لست أرغب فى إفساد سعادتك . ولكن الواقع أنك لم تنج تمامًا بعد .

غمغم (قدرى) مبهوتًا :

- حقا ؟!

أشار (أدهم) إلى ما حوله ، قائلا :

- ما تراه هنا هو منزل آمن ، كنا ندخره للمرحلة الأخيرة ، وليتم نقلك إليه ، حتى تستعيد عافيتك ، وتستعد للعودة إلى (القاهرة) .

قال (قدرى) بصوت مرتجف :

- السؤال هو : هل سأعود إليها على مقعد فى الطائرة ، أم داخل صندوق فى مخزن الشحن ؟!

ابتسم (أدهم) ، قائلا :

- بل على مقعد بدرجة رجال الأعمال يا صديقى ، مع وجبة خاصة ، وعناية متميزة للغاية .

ضحك (قدرى) ضحكة باهتة ، وهو يقول :

- صورة أنيقة يا صديقى ، ولكن تحويلها إلى حقيقة ليس بالأمر السهل .

أجابه (أدهم) فى حزم :

- وليس بالمستحيل أيضًا .

انبعث من مدخل الحجرة ، صوت شخص يتنحنح فى حرج ، فى تلك اللحظة ، قبل أن يسأل بلهجة مصرية ، وأسلوب شديد التهذيب :

- حمدًا لله على سلامتك يا سيد (قدرى) .. هل ترغب فى تناول بعض الشاى معنا ؟!

غمغم (قدرى) فى دهشة ، وهو يشرئب بعنقه ، محاولاً إلقاء نظرة على وجه المتحدث ، من خلف كتف (أدهم) :

- الشاى ؟!

أما (أدهم) ، فقد أطلق ضحكة مرحة ، وهو يلتفت إلى صاحب السؤال ، قائلاً :

- (قدرى) لا يتناول الشاى فى المعتاد ، إلا لهضم وجبة دسمة .

ثم عاد يلتفت إلى (قدرى) ، ويغمز بعينه ، مستطردًا بابتسامة كبيرة :

- مثل الوجبة التى أعددناها له .

هتف (قدرى) فى لهفة :

- حقًا ؟!

ربَت (أدهم) على كتفه فى حرارة ، قائلاً :

- وهل يمكننى أن أنسى أمرًا كهذا يا صديقى ؟!

قفز (قدرى) من فراشه ، هاتفًا :

- يا إلهى ! كم أشكرك .. كم أشكرك .

وقع بصره على وجه الرجل الآخر ، وهو يهتف بعبارته ، فاتسعت عيناه فى دهشة ، وحدّق فى وجهه طويلاً ، فارتبك الرجل ، وغمغم :

- هل أعدّ الطعام الآن ؟!

وفى هدوء ، نهض (أدهم) من مقعده ، وأشار إلى الرجل ، قائلاً :

- زميلنا (أيمن) يا (قدرى) .. إنه أحد دعامات مكتبنا فى (أمريكا) .

ارتسمت ابتسامة على شفتى (أيمن) ، وهو يقول :

- لى عظيم الشرف أن ألتقى بك شخصيًا يا سيد (قدرى) ؛ فأنت بالنسبة لنا أشبه بالأسطورة ، و ...

قاطعه (قدرى) ، وهو يحدّق فيه ، هاتفًا :

- (أدهم) .. ولكنه .. ولكنه ..

اتسعت ابتسامة (أدهم) ، وهو يربت على ظهره ، قائلاً :

- بالضبط .. وهذا سبب حضوره إلى هنا .

ظلّ (قدرى) يحدّق فى الرجل لبضع لحظات أخرى ، قبل أن يبتسم ، قائلاً :

- آه .. يبدو أننى قد فهمت الأمر كله .

هتف (أدهم) :

- عظيم .

ثم عاد يشير إلى (أيمن) ، مستطردًا :

- منذ هذه اللحظة ، سيتولى هو أمرك ، حتى تعود إلى (القاهرة) .

التفت إليه (قدرى) فى دهشة ، قائلاً :

- وماذا عنك ؟!

أشار (أدهم) بيده ، مجيبًا :

- لا تشغل نفسك بشأنى .

هتف (قدرى) مستنكرًا :

- لا أشغل نفسى بشأنك ؟! أى قول هذا يا رجل ؟!

مال (أدهم) نحوه ، قائلاً فى صرامة :

- ليس قولاً يا صديقى .. إنه أمر .

بهتَ (قدرى) للقول ، فهتف :

- أمر ؟!

أجابه (أدهم) بكل صرامة :
ـ نعم يا (قدرى) .. إنه أمر .. ستعود أنت إلى (القاهرة) ، وسألحق بك هناك بإذن الله تعالى ، بعد أن أنهى بعض أعمالى هنا .
ردَّد (قدرى) فى دهشة :
ـ أعمالك ؟!
أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وهو يتراجع ، قائلاً فى شىء من الشرود :
ـ نعم .. أعمالى يا (قدرى) .. هناك الكثير مما ينبغى أن أهتم به ، قبل أن أعود إلى (القاهرة) ، فلقد تورَّط البعض فى مشكلات مع (الموساد) بسببى .
اندفع (أيمن) ، يقول فى حماسة :
ـ لا تقلق بشأن (ماجد) يا سيادة العقيد .. لقد كان يعرف دوره جيدًا ، عندما أتى إلى هنا ، وعندما احتلَّ مكانك فى ذلك الفندق ، ولقد أبلغت السفير الأمريكى بأمره ، باعتباره سائح أمريكى فى مأزق ، وأنت تعلم كيف يتصرَّف الأمريكيون ، فى مثل هذه الظروف .. ثم إن الإسرائيليين لا يمكنهم التعنت فى هذا الشأن .. أليس كذلك ؟!

رفع (أدهم) عينيه إليه ، قائلاً فى صرامة :
ـ لم أكن أقصد (ماجد) ..
سأله (أيمن) فى حيرة :
ـ من كنت تقصد إذن ؟!
صمت (أدهم) بضع لحظات أخرى ، قبل أن يشيح بوجهه ، متمتمًا :
ـ آخرين .
ولم يحر (أيمن) جوابًا هذه المرة ..
لقد اكتفى بالتطلع إليه فى حيرة صامتة ، تمامًا كما فعل (قدرى) ..
ولم يحاول (أدهم) أن يضيف المزيد ..
أو أن يمنحهما أى توضيح إضافى ..
هذا لأن ما يشغله ، فى قلب (إسرائيل) ، كان جزءًا من عقله ..
من تفكيره ..
من كيانه كله ..

★ ★ ★

هوت صفعة (جولدمان) قوية عنيفة ، على وجه (راشيل) ، التى ارتجَّ كيانها كله ، قبل أن تهتف فى غضب ، وهى تكتم دموعها فى صعوبة :

ـ أيها الوغد ! كيف تجرؤ ؟!

هوت صفعة أكثر قوة على وجهها ، وهى مقيَّدة فى إحكام على مقعد خشبى ضخم ثقيل ، وصاح بها (جولدمان) فى صرامة :

ـ أجرؤ ؟! هذه مجرد دعابة بسيطة ، قبل أن يبدأ الاستجواب الحقيقى أيتها الجاسوسة الحقيرة .

كانت دموعها تتسلل إلى مقلتيها ، على الرغم منها ، وهى تهتف فى حنق :

ـ ليس لدى ما أخبركم به .. ليس لدى أى شىء على الإطلاق .

ابتسم (جولدمان) فى سخرية عصبية ، وهو يقول :

ـ ليس لديك ما تخبرينى به ؟! عجبًا ! لماذا يلوح لى إذن وكأنك تخفين فى أعماقك عشرات الأسرار ؟

صاحت فى حدة :

ـ قلت لك : ليس لدى ما أخبركم به .

مط شفتيه ، قائلاً فى غضب هادر :

ـ عنيدة أنت إذن .

ثم تراجع ، ليجلس على مقعده فى حدة ، وأشار إلى رجل ضخم الجثة ، قائلاً فى صرامة :

ـ ومن سوء حظك أن لدينا دواء للعناد هنا .

انقضّ عليها الضخم ، إثر إشارة (جولدمان) ، وكال لها لكمة قوية فى فكها ، وثانية حطمت أنفها ، وثالثة غاصت فى معدتها ، وكادت تلقيها عبر فمها ، فهتفت وهى تبصق دمًا غزيرًا :

ـ أيها الأوغاد .. ليس من حقكم هذا .

ابتسم الضخم فى سخرية ، قائلاً :

ـ ليس من حقنا ؟!

ثم هوى على فكها بلكمة أخرى ، ارتجّ لها كيانها كله ، وانهار لها رأسها على صدرها ، فانعقد حاجبا (جولدمان) ، وهو يقول فى غضب :

ـ لا أريدها أن تفقد الوعى .. لا وقت لدينا لفقدان الوعى .. إننا نحتاج إلى كل ثانية .

غمغم الضخم بابتسامة جذلة :

ـ بالتأكيد يا أدون (جولدمان) .. بالتأكيد .

ثم تناول سطلاً صغيرًا ، امتلأ بمزيج من الماء والثلج ، وألقى محتوياته على وجهها ، فانتفض جسدها فى عنف ، وانطلقت منها شهقة قوية ، وهى تفتح عينيها ، هاتفة :

- أيها الأوغاد .

هبّ (جولدمان) من مقعده ، واتجه نحوها ، وجذبها من شعرها في قوة ؛ ليجبرها على التطلع إليه ، وهو يسأل في صرامة :

- أين (أدهم صبري) ؟!

قالت في حدة :

- لست أدري .

جذب شعرها بقسوة أكبر ، وهو يصرخ في وجهها :

- أين هو ؟!

صرخت في ألم :

- قلت لك لست أدري .

أشار إلى الضخم مرة أخرى ، فاندفع نحوها ، وكال لها لكمتين قويتين ، صرخت معهما مرتين في ألم ، قبل أن تعجز عن كتمان دموعها ، فتتركها تتدفق على وجهها ، وهي تهتف بصوت مختنق مكتوم :

- أيها الأوغاد ! أيها الأوغاد !

سألها (جولدمان) في حدة :

- منذ متى تعملين لحساب المصريين ؟

كان من المفترض ، طبقًا للخطة البديلة ، التي تدربت عليها طويلا ، لتنفيذها في حالات الطوارئ ، أن تعلن أنها جاسوسة سوفيتية ..

وكانت لديها كل المعطيات اللازمة ، لتؤكد صحة ادعائها ..

أسماء رجال مخابرات روس ، تولوا تدريبها ..

أماكن لقاء ..

عناوين في (أوروبا) و (أمريكا) ، و (الشرق الأوسط) ..

ضباط مخابرات روس ، يمكنها تعرف صورهم على الفور ..

وحتى رقم كودي روسي مزعوم ..

كان من المفترض أن تفعل هذا ، إلا أنها ، ولشدة مرارتها وألمها وغضبها ، وحنقها من الدموع التي اضطرت لذرفها أمامهم ، وجدت نفسها تجيب في شيء من العناد والتحدي :

- منذ البداية .

انعقد حاجباه في شدة ، وهو يسألها في خشونة :

- أية بداية ؟!

لم يكن التراجع ممكنًا ، بعد أن ألقت جوابها الأول ، لذا فقد هتفت فى حدة ، مكررة الجواب نفسه :

- أعمل معهم منذ البداية .

كرر سؤاله فى غضب :

- أية بداية ؟!

رفعت إليه عينيها المتورمتين فى تحد ، مجيبة :

- منذ أتيت إلى (إسرائيل) .

اتسعت عيناه فى شىء من الارتياع ، وحدق فى وجهها لحظة ، قبل أن تتحول مشاعره كلها إلى غضب هادر ، وينهض من مقعده ليهوى على وجهها بصفعة قوية ، صارخًا :

- أيتها الخائنة الحقيرة .. إنك تستحقين الحرق حية كساحرات العصور الوسطى .. كيف أمكنك أن تفعلى هذا ؟! كيف تخونين حلم (إسرائيل) الكبرى ، الذى عاش ومات من أجله أجدادنا ، طوال أكثر من قرن من الزمان ؟! هل نسيت حلمنا الأكبر .. من (الفرات) إلى (النيل) ، وطنك يا بنى (إسرائيل) ؟! هل تخليت عن كل هذا ، من أجل حفنة دولارات ، دفعها لك المصريون .

ابتسمت فى سخرية متألمة ، وبصقت بعض الدم ، وهى تقول :

- ربما يدهشك أننى لم أحصل من (مصر) سوى على راتبى وحده .

صاح فى غضب :

- راتبك ؟! يا له من ثمن بخس لخيانة (إسرائيل) .. (إسرائيل) الكبرى ، التى ...

قاطعته فى حدة :

- بل قل (إسرائيل) المحتلة الحقيرة ، التى تصورت أن الوسيلة الوحيدة لصنع وطن ما ، هى أن تسرق هذا الوطن من شعب آمن مسالم ، وأن تحتل ما ليس لها ، حتى يصبح بإمكانها أن ترفع علمًا قذرًا ، فوق أرض مغتصبة .. والمضحك والسخيف فى آن واحد ، هو أنها ترفض وبإصرار ، أن يكون للشعب المسلوب الحق فى رفع علمه على أرض وطنه .

اتسعت عيناه فى دهشة ، وهو يحدق فيها ، قبل أن يعقد حاجبيه ، قائلاً فى حدة عصبية :

- آه .. إنه انتماء مبدئى إذن .. إيمان بقضية هؤلاء العرب ، الذين نسوا أن (إسرائيل) هى أرض

الميعاد ، منذ زمن (موسى) .. يا للسخافة ! كيف لإسرائيلية مثلك أن ...

قاطعته بصيحة غاضبة :

- لست إسرائيلية .

بدت الدهشة على وجوه الجميع ، وتبادلوا نظرة دهشة عارمة ، قبل أن يصيح بها (جولدمان) فى غضب :

- هل تتبرئين من جنسيتك ووطنك ، لمجرد أن ..

قاطعته بصيحة أخرى مماثلة :

- قلت لك : لست إسرائيلية .. لست كذلك ، ولم أكن أبدًا كذلك .

ثم عادت ترفع إليه عينيها المتحديتين ، مستطردة فى عناد :

- بل إننى لست حتى يهودية .

كانت هذه المفاجأة أشد عنفًا من سابقتها ، حتى إن همهمة عجيبة قد سرت بين الحاضرين جميعًا ، قبل أن يندفع (جولدمان) نحوها ، ويجذبها من شعرها على نحو أكثر عنفًا ، وهو يصرخ فى وجهها :

- من أنت إذن ؟!

تألقت عيناها ، وكأنما يسعدها أن تثير جنونهم إلى هذا الحد ، وهى تجيب :

- اسمى لن يعنيك كثيرًا ، ولكن يكفى أن تعلم أننى ، ومنذ مولدى .. مصرية .. مصرية أبًا عن جد .

وفى هذه المرة كانت المفاجأة هائلة بالفعل .. هائلة أكثر مما يمكنهم احتماله ..

ألف مرة ..

★ ★ ★

قفز (إفرام ياهو) من فراشه منزعجًا ، عندما دق جرس بابه فى إلحاح ، فى الثالثة والربع صباحًا ، واختطف مسدسه الرسمى ، وهو يهرع إلى الباب ، ويلصق ظهره بالجدار المجاور له ، قائلًا فى حدة :

- من الباب ؟!

أتاه صوت مألوف ، يقول فى صرامة :

- (دافيد بلو) .. افتح الباب يا (إفرام) .. الأمر عاجل بحق .

غمغم (إفرام) فى دهشة :

- (دافيد) ؟! فى هذه الساعة ؟!

وألقى نظرة سريعة ، عبر العين السحرية للباب ،

ليتأكد من هوية القادم ، قبل أن يفتح الباب فى سرعة ، قائلاً بدهشة ، لم يستطع إخفاءها :

ـ (دافيد) .. ما الذى يدعوك إلى الحضور ، فى هذه الساعة ؟!

أجابه (دافيد) فى صرامة ، وهو يدلف إلى الشقة :

ـ الأمور مازلت مشتعلة .. أنت الذى انصرف مبكرا !.

لوّح (إفرام) بيده ، وهو يغلق الباب ، قائلا فى ارتباك :

ـ كنت فى حالة سيئة للغاية ، و ...

قاطعه (دافيد) فى برود ، وهو يتخذ مقعدًا قريبًا :

ـ على الرغم من أنك تعلم أن الأسير قد هرب ؟!

تنهّد (إفرام) فى توتر ، مغمغمًا :

ـ وماذا بيدى لأفعله يا (دافيد) ؟!

تطلّع إليه (دافيد) لحظة بنفس البرود ، قبل أن يسأله :

ـ سمعت أنك قد عذّبته بشدّة لساعة كاملة ، حتى كاد يلقى مصرعه ..

تضاعف توتر (إفرام) ، وهو يقول :

ـ اسمع يا (دافيد) .. لقد ناقشت هذا الأمر مع أدون (جولدمان) ، وأنت تماثلنى رتبة ، وليس من حقك أن ...

قاطعه (دافيد) بنفس البرود :

ـ وحاولت قتله فى الوحدة العلاجية ، بانتزاع منظم ضربات القلب من جسده ، عندما كان فى أشدّ الحاجة إليه .

انعقد حاجبا (إفرام) ، وهو يقول فى حدة :

ـ ليس هذا من شأنى .

سأله (دافيد) :

ـ شأن من هو إذن ؟!

أجابه فى حدة :

ـ لا أظنك قد أتيت فى هذه الساعة ، لتحاسبنى على ما فعلته بذلك المصرى الحقير فحسب .

نهض (دافيد) من مكانه فى حركة حادة ، وهو يقول فى صرامة مباغتة :

ـ ولمَ لا ؟! ألا يستحق الأمر هذا ؟!

تراجع (إفرام) بحركة غريزية ، قبل أن يهتف فى عصبية :

ـ كلاً .. لا يستحق هذا .. كان يمكننا مناقشة هذا فى الصباح ، مع قدحين من القهوة .

تقدّم نحوه (دافيد) ، وهو يقول فى غضب :

ـ عجبا ! الأمر يبدو لى وكأنه يستحق هذا كثيرا ، وخاصة مع وغد مثلك .

اتسعت عينا (إفرام) عن آخرهما ، عندما سمع العبارات الأخيرة ، التى خرجت من بين شفتى (دافيد) ، بصوت لا يشبه صوته أبدا ، فارتفعت فوهة مسدسه نحو هذا الأخير فى سرعة ، وهو يهتف :

ـ رباه ! إنك لست (دافيد) .

وثب (أدهم) نحوه بخفة مدهشة ، وهو يهتف :

ـ من حسن الحظ .

حاول (إفرام) أن يطلق رصاصات مسدسه ، ولكن قدم (أدهم) قفزت كالبرق ؛ لتطيح بالمسدس ، قبل أن تكتمل ضغطة سبابته على زناده ، ثم قفز (أدهم) فى الهواء ، ودار جسده حول نفسه دورة أفقية ، لتركل قدمه الأخرى أنف (إفرام) ، وتلقيه ثلاثة أمتار إلى الخلف ، فيرتطم بالجدار ، ثم يرتد عنه فى عنف ..

ومع ارتداداته ، استقبلته لكمة كالقنبلة فى فكه ، وثانية كالصاعقة فى أنفه ، ثم غاصت ثالثة فى معدته ، فانثنى جسده كله ، مطلقا شهقة ألم عنيفة ، فى نفس اللحظة التى هوت فيها ضربة جديدة على مؤخرة

عنقه ، فسقط على وجهه أرضا ، وسالت الدماء من أنفه فى غزارة ..

وبقسوة يندر أن يتعامل بها ، جذبه (أدهم) من شعره ، ليجبره على الوقوف ، وهو يقول :

ـ قاوم أيها الوغد .. قاوم دفاعا عن نفسك .. أم أنك لا تجيد سوى تعذيب العزل فى قبو وكركم الحقير ؟

هتف (إفرام) :

ـ الرحمة .. الرحمة .

لكمه (أدهم) مرة أخرى فى معدته ، قائلاً :

ـ لا تنشد الرحمة ، ما دمت لا تمنحها لغيرك أيها الحقير .

ثم جذبه من شعره مرة أخرى ، وهوى على فكه بلكمتين متعاقبتين ، تحطم معهما صف أسنانه الأمامى كله ، و(أدهم) يقول :

ـ وما دمت تهوى التعذيب ، فلتذق بعضا منه .

بصق (إفرام) بعض أسنانه ، مع الكثير من الدم ، وهو يقول فى انهيار :

ـ الرحمة .. سأفعل كل ما تطلبه ، ولكن ..

صاح به (أدهم) :



وبقسوة يندر أن يتعامل بها ، جذبه (أدهم) من شعره ، ليجبره على الوقوف . .

ـ لا تنهر بهذه السرعة أيها الوغد .. المفترض أنك رجل مخابرات محترم ، ورجال المخابرات يتمرنون على قوة الاحتمال(*) .

ثم لوى ذراعه خلف ظهره ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ والآن ، دعنا نتفاوض حول بعض المعلومات .

هتف (إفرام) فى ذعر :

ـ المعلومات ؟!

لوى (أدهم) ذراعه فى قسوة أكثر ، وهو يسأله :

ـ بالطبع أيها الوغد .. ما الذى يمكن الحصول عليه من حقير مثلك سوى هذا ؟!

هتف (إفرام) فى ألم :

ـ مستحيل ! لا يمكن أن تحصل على أية معلومات .

تجاهل (أدهم) هذا الاعتراض ، وهو يقبض على معصمه ، ويسأله فى صرامة :

ـ أين (راشيل) ؟!

هتف الرجل فى ألم :

ـ (راشيل) من ؟!

أدار (أدهم) معصمه فى عنف ، وهو يسأل :

(*) حقيقة .

ـ (راشيل فريمان) ، التى ألقيتم القبض عليها الليلة .. أين هى ؟!

هتف (إفرام) ، وهو ينحنى إلى الأمام ، من شدة الألم :

ـ لم أسمع عن هذا .. أقسم لك .. ليست لدى أية فكرة .

كان صادقًا فى قوله هذا ، على نحو أدركه (أدهم) بخبرته على الفور ، فانعقد حاجباه فى حدة ، وهو يقول :

ـ فى هذه الحالة ، لم يعد لدى ما أريده منك أيها الوغد .

قالها ، ثم لوى معصم (إفرام) فى عنف وحدة ، وهو يكتم فم الرجل ، ليمنع صرخة ألم رهيبة من الانطلاق ، عندما تحطمت عظام المعصم بصوت مسموع ، و (أدهم) يقول فى صرامة :

ـ هذا من أجل ما فعلته بـ (قدرى) .

دارت عينا (إفرام) فى محجريهما ، من فرط الألم ، ومادت به الأرض ، فاستطرد (أدهم) فى صرامة أكثر :

ـ وهذه منى .

قالها ، وهوى على مؤخرة عنقه بلكمة كالقنبلة . انتفض معها جسد (إفرام) فى عنف ، ثم سقط فاقد الوعى .

وفى هدوء ، تجاوزه (أدهم) ، واتجه نحو مرآة الردهة ، وانتزع قناع (دافيد) ، وألقاه جانبًا ، وهو يتطلع إلى وجهه ، متمتمًا فى صرامة :

ـ يبدو أن هذه الليلة لن تنتهى أبدًا أيها الأوغاد .

بمنتهى السرعة ، راح يعمل لحمل وجه جديد ، يكمل به لعبته ..

وجه يكفى لإثارة جنون رجال (الموساد) .. إلى أقصى حد ..

وجه لا يمكن لأحدهم أن يتوقعه قط ..

وجه سينقل اللعبة إلى مضمار جديد ..

وإلى جولة جديدة ..

وأخيرة ..

جولة إما أن ينتصر فيها ..

أو ينتهى أمره فى قلب (إسرائيل) .. إلى الأبد .

★ ★ ★

٥ـ عقـــل .. وعقـــل ..

فرك (دافيد) عينيـه فـى إرهـاق ، وأغمضهمـا وفتحهما مرتين ، وهو يجلس أمام جهاز الكمبيوتر ، قبل أن يشير بيده لمساعده (إليعازر) ، قائلاً :

ـ قدح من القهوة .

صبَّ (إليعازر) قـدح القهوة ، وقدَّمـه لـه ، وهو يتساءل :

ـ أمـا زلت تعتقـد أن الحـل بيـد هـذا الكمبيـوتر يا سيِّدى .

هزَّ (دافيد) كتفيه ، وعاد يضرب أزرار الكمبيوتر ، وهو يجيب :

ـ لم يعد لدينا سواه .. السائح الأمريكى أصرَّ علـى أن (أدهم) قد فاجأه فـى حجرتـه ، وأفقده الوعى ، وأنـه لم يدر مـا حدث ، حتـى استعاد وعيه هنـا .. والسفير الأمريكى يقف علـى رءوسنا طوال الوقت ، وكل منـافذ الخروج من (إسرائيل) لم تعلن عن حالة

شكٍّ واحدة ، وكل تأشيرات السائحين تم فحصها بدقة ، بوساطة قسم الـتزييف والـتزوير ، وثبتـت صحتهـا جميعًا ، حتـى آخر من غـادروا (إسـرائيل) ، فـى طائرة الرابعة صباحًا إلى (لندن) ، وأدون (جولدمان) يتولَّى بنفسه استجواب تلك الجاسوسة ، فماذا أمامى سوى استشارة هذا الذكاء الصناعى المفرط .

تساءل (إليعازر) فى حذر :

ـ ترى من يتفـوَّق علـى الآخر .. عقل (أدهم صبرى) ، أم هذا العقل الإليكترونى الفائق ؟!

أشار (دافيد) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ الجولة الأخيرة وحدها ستحسم هذا الأمر .

وصمـت لحظـة ، تـابع خلالهـا المعلومـات علـى الشاشة ، قبل أن يكمل :

ـ ولا تنس أنه صاحب الفضل فى كشف أمر (أديب الريس) ، و (راشيل فريمـان) ، وهـو الـذى ربـط بينهما وبين (أدهم) ، و ...

بتر عبارتـه ، واعتدل علـى مقعده ، وتطلَّـع إلـى الشاشة باهتمام بالغ ، فسأله (إليعازر) فى لهفة :

ـ هل من جديد ؟!

الكمبيوتر يؤكد أن (أدهم صبرى) سيواصل استغلال قدراته المدهشة على التنكر ، ليضرب ضربة جديدة ، وأنه لن يرحل ، قبل أن يبذل قصارى جهده لإنقاذ (راشيل) ، وتخليصها من أيدينا ، و ...

تردد لحظة ، قبل أن يكمل ، فسأله (إليعازر) :

ـ وماذا يا سيدى ؟! هه .. وماذا ؟!

تردد (دافيد) بضع لحظات أخرى ، قبل أن يقول :

ـ لقد سألته عن الوسيلة التى ستلجأ إليها المخابرات المصرية ؛ لإخراج (قدرى) من هنا ، فقدم ثلاثة اقتراحات ، أحدها يقلقنى بشدة .

سأله (إليعازر) :

ـ وما هو ؟!

انعقد حاجبا (دافيد) ، وهو يشير إلى الشاشة ، مجيبًا :

ـ يقول : إن شخصًا فى مثل حجمه ، يمكن أن يدخل إلى (إسرائيل) بجواز سفر سليم ، ويحصل على تأشيرة دخول قانونية ، ثم يستخدم (قدرى) هذا الجواز ، مع تغييرات بسيطة فى هيئته ، ليغادر (إسرائيل) ، بحجة أنه لم يشعر بالأمان فيها ، مع كل الإجراءات الاستثنائية ، التى تمت الليلة .

امتقع وجه (إليعازر) ، وهو يقول بصوت مبحوح :

ـ يا للشيطان ! أهذا ممكن ؟!

أجابه (دافيد) ، وهو يتراجع فى مقعده ، ويداعب ذقنه بسبابته وإبهامه فى عصبية :

ـ الكمبيوتر يقول : إنه ممكن .

وانعقد حاجباه أكثر ، وهو يضيف :

ـ ولقد أقلعت طائرة بالفعل إلى (لندن) ، منذ أقل من نصف الساعة ، ولو أننا راجعنا قائمة الركاب بها ، فمن المحتمل أن ...

لم يكمل عبارته ، وحاجباه يلتقيان أكثر وأكثر ، ثم اعتدل بغتة ، وراح يضرب أزرار الكمبيوتر فى اهتمام ، لاستدعاء قائمة المسافرين ، على طائرة (لندن) ، ثم طلب من الكمبيوتر مقارنة صوره بصورة (قدرى) ، وهو يقول فى عصبية :

ـ لو أن المصريين قد فعلوها حقًا ، فهذا يعنى أنهم ...

أكمل (إليعازر) فى انفعال :

ـ يتفوقون على أجهزة الكمبيوتر ، ذات الذكاء الصناعى .

التفت إليه (دافيد) بنظرة صارمة غاضبة ، وهو يقول :

ـ كلا أيها الغبى .. ما قصدت قوله هو أنهم قد تطوّروا كثيرًا ، فى هذه الآونة الأخيرة .

غمغم (إليعازر) :

ـ يا للشيطان ! أكثر مما كانوا عليه ، فى حرب أكتوبر .

هتف (دافيد) ، فى غضب أكثر :

ـ غبى .

ومع آخر حروف كلماته ، انطلق من الكمبيوتر أزيز مرتفع ، وتراصت على شاشته صورة (قدرى) ، وإلى جوارها صورة (أيمن) ، مع الاسم الذى يحمله فى جواز سفره الأمريكى ..

وبكل غضب الدنيا ، صرخ (دافيد) ، وهو يقفز من مقعده :

ـ اللعنة !

ووثب يختطف سماعة الهاتف ، مستطردًا فى حنق :

ـ لقد فعلوها .. خدعونا ألف مرة ، فى ثمان وأربعين ساعة .

وراح يطلب رقمًا دوليًا ، متابعًا فى غضب :

ـ ولكننا لن نسمح لهم بالانتصار علينا بهذه البساطة .

كان وجهه محتقنًا بشدة ، عندما سمع صوت محدِّثه ، فقال فى عصبية :

ـ (براندون) .. اسمعنى جيدًا .. أنا (دافيد) .. (دافيد بلو) .. نعم .. أعرف كم الساعة الآن ، ولكن هذا لا يعنينى قط ، مع أهمية الموقف .. لقد فرَّ جاسوس من هنا ، على طائرة شركة (العال) ، المتجهة إلى (لندن) ، وستصلها فى العاشرة صباحًا تقريبًا ، بتوقيت (جرينتش)(*) .. أريد منكم أن تستقبلوه هناك ، وأن تحاولوا إعادته إلى (إسرائيل) .. كلاَّ يا (براندون) .. لو عجزتم عن إعادته ، لا تسمحوا له بالذهاب إلى أى مكان آخر .. اقتلوه ..

(*) (جرينتش) : ضاحية بمدينة (لندن) ، عاصمة (انجلترا) ، على نهر (التايمز) ، بها مرصد فلكى شهير يحمل اسمها ، ويمر بها خط الطول الرئيسى (صفر) ، الذى يسجّل فيه توقيت (جرينتش) القياسى ، كما تشتهر (جرينتش) أيضًا بكليتها البحرية الملكية ..

نعم .. لقد سمعتها بكل وضوح .. اقتلوه .. هذا أفضل من أن يفرّ منا .

لم يكد ينهى الاتصال ، حتى ارتفع أزيز آخر فى الحجرة ، فالتفت فى حدة إلى جهاز الكمبيوتر ، ولكن (إليعازر) أشار إلى جهاز الاتصال الداخلى ، قائلاً :

- إنه هذا .

التفت (دافيد) إلى الكمبيوتر بحركة عدوانية عجيبة ، ثم ضغط زرّه ، قائلاً فى حدة وعصبية :

- من هناك .

أتاه صوت رئيس طاقم الحراسة ، وهو يقول فى توتر :

- لدى زائر مفاجئ يا أدون (بلو) ، يرفض فى عناد الخضوع لإجراءات الفحص وتحقيق الشخصية ، كما يصرّ على الدخول ، وهو ثائر غاضب إلى أقصى حد .

صاح به (دافيد) فى حدة :

- إنها الرابعة والنصف صباحًا ، والأمور لا تحتمل مثل هذه السخافات ، ولو أنه يصرّ على عناده هذا ، فاصفعه على مؤخرته ، والق به فى عرض الطريق ، و...

أتاه صوت ثائر غاضب ، عبر جهاز الاتصال الداخلى ، يصيح :

- يضرب من على مؤخرته أيها السخيف الحقير .. هل نسيت أنك ورؤساءك تعملون تحت إمرتى ، وأن من سلطتى المباشرة أن أعفيكم من أعمالكم ، بجرّة قلم واحدة ؟

اتسعت عينا (إليعازر) ، وهو يهتف :

- يا للشيطان ؟

أما (دافيد) ، فقد قفز من مقعده ، هاتفًا فى ذهول :

- مستحيل !

ثم هتف عبر الجهاز :

- معـ .. معذرة يا سيادة رئيس الوزراء .. إننا لم نتوقّع قط أن ...

قاطعه رئيس الوزراء الإسرائيلى فى غضب هادر :

- لم تتوقّعوا ؟! المفترض فيكم أن تتوقّعوا كل شىء يا رجال (الموساد) .. والمفترض فيكم أن تكونوا قدوة حسنة لكل رجال الأمن ، لا أن يتصل حبل الفشل معكم ، من خطأ إلى آخر .

قال (دافيد) فى توتر :

ـ سيادة رئيس الوزراء .. لقد بذلنا قصارى جهدنا ، و ...

قاطعه رئيس الوزراء صارخًا :

ـ هل سنتحدث طوال الوقت ، عبر هذا الجهاز السخيف ؟!

انعقد حاجبا (دافيد) فى شدة ، وهو يقول :

ـ تفضّل على الرحب والسعة يا سيادة رئيس الوزراء .

أتاه صوت رئيس طاقم الحراسة ، قائلاً فى عصبية :

ـ وماذا عن الإجراءات يا أدون (بلو) ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ هذه الإجراءات لا تسرى على السيِّد رئيس الوزراء أيها الغبى .. سأهبط لاستقباله بنفسى .

وأنهى الاتصال ، و (إليعازر) يقول فى قلق :

ـ ولكن ماذا لو ؟!

قاطعه (دافيد) فى حزم :

ـ أعلم يا (إليعازر) .. أعلم .

وارتسمت الصرامة على كل خلية فى وجهه ، وهو يضيف :

ـ ماذا لو أنه (أدهم صبرى) متنكرًا .. أليس كذلك ؟!

أجابه (إليعازر) :

ـ ستكون كارثة رهيبة .

أشار (دافيد) بسبّابته ، قائلاً :

ـ ما لم نتخذ الإجراءات اللازمة .

ثم تابع فى صرامة :

ـ اسمع يا (إليعازر) .. مُر رجالنا بالتأهُّب ، وبمراقبة كل ما يحدث فى هذه الحجرة ، عبر آلات التصوير ، فإذا ما لمحوا أى تصرُّف مثير للشك ، فعليهم أن يقتحموا المكان على الفور ، ويلقوا القبض على كل من فيه .. هل تفهم ؟!

أجابه وهو يندفع لتنفيذ الأمر :

ـ أفهم يا أدون (بلو) .. أفهم تمامًا .

أما (دافيد) ، فقد شدّ قامته ، والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يتجه لمقابلة رئيس الوزراء الإسرائيلى ..

لو أنه حقًا رئيس الوزراء الإسرائيلى .

★ ★ ★

« جاسوسة مصرية ؟! »

صرخ (جولدمان) بالكلمة فى غضب هادر ، وهو يلوّح بذراعه فى وجه (راشيل) ، التى انهارت تماما ، من فرط التعذيب ، وراح يسير فى الحجرة كذئب جريح ، وهو يتابع فى عصبية بلا حدود :

ـ وتحملين رتبة مقدم ، فى جيش الدفاع الإسرائيلى ؟!

أين كنا نحن إذن ؟! غارقين فى بحر من العسل ؟! هل تخدعنا المخابرات المصرية كل هذا الوقت ؟! (رفعت الجمال)[*] ، و(عمرو طلبة)[**] ، والآن أنت ؟!

حاولت أن ترفع عينيها إليه فى تحدٍ ، إلا أن

(*) (رفعت الجمال) : جاسوس مصرى ، قضى معظم حياته فى (إسرائيل) ، باعتباره يهودى شرقى ، وكانت له اتصالات وعلاقات قوية بها ، ولقد نشرت قصته تحت اسم (رأفت الهجان) ، للكاتب الراحل (صالح مرسى) .

(**) (عمرو طلبة) : جاسوس مصرى آخر ، أقل شهرة من (رفعت الجمال) ، هاجر إلى (إسرائيل) منتحلا شخصية يهودية ، والتحق بالجيش الإسرائيلى ، وأصبح مسئولا عن الاتصالات ، فى حرب ١٩٧٣م ، وبسبب إصراره على توجيه ضربات الطيران ، استشهد على رمال (سيناء)

جسدها لم يستطع طاعتها ، مع كل ما تشعر به من إرهاق وألم ، فى حين واصل هو فى غضب :

ـ لا بد من محاسبة كل مسئول عن هذا .. كل شخص سمح لجاسوسة مصرية بالتسلل إلى مجتمعنا ، واحتلال مثل هذا الموقع .

ثم التفت إليها صارخا :

ـ كيف نجحوا فى زرعك هنا ؟! كيف ؟!

كانت تسمع كلماته ، وتشعر بثورته أمامها ، إلا أنها لم تستطع رفع رأسها ، أو حتى فتح عينيها ، فتظاهرت بفقدان الوعى ، وتضاعف فى أعماقها الإحساس بالندم ؛ لأنها لم تستمع إلى نصيحة (أدهم) ، عندما طلب منها الرحيل على الفور ، دون أن تضيع لحظة واحدة ..

وكان ينبغى أن تستمع لقوله ..

لخبرته ..

وحنكته ..

وسنوات عمله الطويلة ..

كان ينبغى أن تطيعه بلا مناقشة ..

وبلا عناد ..

أو مكابرة ..

« كيف زرعوك هنا ؟! »

هوت صفعة (جولدمان) الغاضبة على وجهها فى قسوة ، وهو يصرخ بعبارته للمرة الثانية ، فشهقت فى ألم ، وتركت رأسها يسقط مرة أخرى على صدرها ، والدماء تنزف من أنفها وركنى شفتيها ، لتسيل على زيها العسكرى ..

وفى توتر ، غمغم الضخم :

ـ إنها فاقدة الوعى .

صرخ (جولدمان) :

ـ قلت : إننى لا أريد فقدان وعى الليلة .. لا أريد أن تضيع دقيقة واحدة بلا فائدة .

غمغم الضخم :

ـ أمرك يا أدون (جولدمان) .

وراح يملأ السطل الصغير بالماء والثلج ، فى حين قال أحد الرجال فى تردد :

ـ بمناسبة إضاعة الوقت .. أليس من الأفضل أن نسألها عن مكان ذلك المصرى ، بدلا من استجوابها عن وسيلة زرعها هنا .

احتقن وجه (جولدمان) فى حنق ، وهو يلوّح بذراعه فى حدة ، قائلاً :

ـ دعونى أدير الأمور بأسلوبى .

ومع قوله ، ألقى الضخم الماء البارد والثلج على وجه (راشيل) ، التى انتفضت فى قوة ، وحاولت أن تفتح عينيها فى صعوبة ، و(جولدمان) يجذبها من شعرها مرة أخرى ، فى قسوة وحشية ، مسائلا :

ـ أين يمكن أن نجد (أدهم صبرى) الآن ؟! أين ؟!

بذلت قصارى جهدها لتفتح عينيها ، ولتغمغم فى صعوبة :

ـ ابحث فى جيبك الأيمن .

قالتها ، وحاولت أن تبتسم ، فاحتقن وجهه بشدة ، وصرخ :

ـ أيتها الحقيرة .

وهوى على فكها بلكمة قوية ، أفقدتها الوعى بحق هذه المرة ، وهو يستطرد :

ـ سأقتلها .. سأنتزع لسانها من حلقها ، لو واصلت السخرية وادعاء الجهل على هذا النحو .

تبادل الآخرون نظرة متوترة ، وغمغم أحدهم :

- إننا نحتاج إلى استجوابها بأسلوب آخر ، لمعرفة أسلوب المصريين فى زرع جواسيسهم فى مجتمعنا .. لقد فعلوها عدة مرات ، وهذه أول مرة نوقع فيها أحد جواسيسهم ، الذين يحيون بهوية إسرائيلية صحيحة .

صاح به (جولدمان) :

- قلت : إننى سأدير الأمور بأسلوبى .

لم تكد صيحته تكتمل ، حتى ارتفع رنين هاتفه المحمول ، فالتقطه بحركة سريعة ، وقال فى عصبية :

- (جولدمان) .. من المتحدث ؟!

أتاه صوت مألوف ، يقول :

- إنه أنا يا (جولدمان) .. إننى أتحدث إليك من هنا .. من (تل أبيب) .

ارتفع حاجبا (جولدمان) فى دهشة ، وهو يهتف :

- سيادة المدير ؟! وما الذى ..

قاطعه المدير ، فى توتر :

- أين أنت الآن ؟! هناك ما ينبغى أن نتحدث عنه على الفور .

تردد (جولدمان) لحظة ، فهتف به المدير فى حنق :

- لا داعى للشكوك يا (جولدمان) .. إنه حقًا أنا .. لست (أدهم صبرى) متنكرًا .

ولكن هذا لم يحسم تردد (جولدمان) ، الذى غمغم :

- الواقع يا سيدى أن ..

قاطعه مدير المخابرات الإسرائيلى فى غضب :

- فليكن يا (جولدمان) .. اسمى الكودى هو (شلومون) ، ورقمى (١٦٠٠٩م ف) .. هل يكفيك هذا ؟!

شعر (جولدمان) بشىء من الارتياح ، مع سماعه هذه المعلومات البالغة السرية ، فقال :

- إننا فى الموقع السرى (زد ــ واى) يا سيادة المدير .

أجابه المدير :

- عظيم .. أنا على مقربة منك .. سأصل خلال عشر دقائق ، فلدى ما ينبغى أن نتحدث عنه معًا .

ولم تمض دقائق عشر بالفعل ، على نهاية المحادثة ، حتى كان مدير المخابرات الإسرائيلى يدلف إلى ذلك الموقع السرى ، فى قبو أحد المنازل العادية

فى (تل أبيب) ، وهو يلقى نظرة قلقة على (راشيل) ، متسائلا :

- من هذه ؟! وماذا تفعل هنا ؟!

أجابه (جولدمان) فى حدة :

- إنها جاسوسة مصرية ، وثيقة الصلة بـ (أدهم صبرى) .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يقول :

- جاسوسة مصرية ، فى زينا العسكرى ؟!

بدا الضيق على وجه (جولدمان) ، وهو يغمغم :

- سأشرح لك كل شىء فيما بعد يا سيادة المدير .

مطَّ المدير شفتيه ، وهو يلقى عليها نظرة أخرى ، ثم التفت إلى (جولدمان) ، قائلا :

- تعال يا (جولدمان) .. أريد أن أتحدَّث إليك على انفراد .

تبادل الرجال نظرة شك مرتبكة ، وغمغم (جولدمان) فى قلق :

- على انفراد ؟!

زفر المدير فى ضجر ، وقال :

- قلت لك : إنه أنا يا (جولدمان) .. أنا مديركم

أيها الأغبياء ، والشخص الوحيد الذى يعلم بفشلك فى عملية (تركيا) يا (روبرت) ، وبالعملية الجراحية التى ستجريها لابنتك يا (فورد) ، وحتى بالاختلاسات التى قمت بها فى عملية (هونج كونج) يا (ويبلى) .

احتقن وجه (ويبلى) ، وهو يقول :

- الواقع يا سيادة المدير أنها ..

قاطعه بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

- فيما بعد .. فيما بعد يا (ويبلى) .. سنناقش هذا الأمر فيما بعد .

ثم التفت إلى (جولدمان) ، قائلا بلهجة آمرة :

- هيا بنا .

كان الشارع خاليا تماما ، فى هذه الساعة ، وهما يسيران جنبا إلى جنب ، وكلاهما يعقد كفيه خلف ظهره ، وعلى مسافة ثلاثة أمتار خلفهما ، سار الحارس الخاص لمدير (الموساد) ، الذى قال لـ (جولدمان) فى توتر :

- الموقف مشتعل للغاية يا (جولدمان) .. الكل ثائر لما حدث ، وخاصة بعد فشلكم الذريع هذا ..

الحكومة طلبت حضورك أنت و (دافيد) أمامها غدا ، لاستجوابكما بشأن إشعالكما للخطـة (أ) ، دون أن يحقق هذا أى نجاح .

غمغم (جولدمان) فى عصبية :

- إننا نتعامل مع شيطان يا سيادة المدير ، وأنت أكثر من يدرك هذا .

زفر المدير فى توتر ، قائلا :

- ولكنهم لا يدركون .

قال (جولدمان) فى حدة :

- عليك أن تشرح لهم .

قلب الرجل كفيه فى يأس ، مغمغما :

- لقد حاولت .

ثم زفر مرة أخرى ، قبل أن يضيف فى مرارة :

- وفشلت .

ارتجفت شفتا (جولدمان) ، وهو يزدرد لعابه فى صعوبة ، عبر حلقه الجاف ، من فرط الانفعال ، قبل أن يقول فى توتر :

- ما الذى تعتقد أنهم سيفعلونه بنا ؟!

مط المدير شفتيه ، مجيبًا :

- سيمزقونكما إربًا .

توقف (جولدمان) ، هاتفا :

- إلى هذا الحد ؟!

أشار المدير بيده ، وهو يواصل السير ، مجيبًا :

- لا يمكنك أن تتصور انفعال رئيس الوزراء .. إنه لم ينم حتى هذه اللحظة ، ويصر على معاقبة المخطئ على نحو علنى .

ثم التفت إليه فى حدة ، مستطردًا :

- لماذا نسبت الأمر إلى نفسك بحق الشيطان ؟! لقد راجعت التسجيلات بنفسى ، وتأكدت من أن (دافيد) هو الذى أصدر الأمر .

هز (جولدمان) رأسه ، قائلا فى عصبية :

- التسجيلات الرسمية أكثر .. أكثر أهمية من كلمتى .

قال المدير فى حدة :

- عندما تفشل الأمور فحسب .. أليس كذلك ؟!

كان (جولدمان) يشعر بتوتر لم يشعر بمثله ، فى حياته كلها ، وهو يقول :

- لدينا خطة بديلة ، للتنصل من الأمر كله .

سأله المدير فى اهتمام :

- وما هى ؟!

أجابه فى سرعة :

- (دافيد) عثر على أجهزة تنصت فى منزله ، بعد انصراف (أدهم صبرى) منه ، ويمكننا ، إذا ما تأزمت الأمور ، أن ندعى أن (أدهم) قد انتحل شخصيته ، وأصدر ذلك الأمر .

قال المدير فى حدة :

- (أدهم) يصدر أمرًا بإغلاق كل الأبواب فى وجهه ؟! من يمكن أن يصدق أمرًا كهذا يا (جولدمان) ؟! حتى رئيس الوزراء لا يمكن خداعه بفكرة ساذجة كهذه !

لوح (جولدمان) بكفيه ، وهو يقول فى عصبية :

- سنقول : إنه قد فعلها لإرباكنا ، فى الوقت الذى كان متنكرًا فيه فى هيئة (دافيد) ، ويحمل هويته الحقيقية ، غير القابلة للتزوير .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يقول :

- هذا سيضع (دافيد) فى مأزق حقيقى .

أجابه (جولدمان) فى صرامة :

- إنه الشخص الذى أصدر الأمر على أية حال ، وسيستحق كل ما سيحدث له .

توقف المدير هذه المرة ، والتفت إليه ، قائلاً فى دهشة مستنكرة :

- بهذه البساطة .

كرر (جولدمان) فى صرامة أكثر :

- سينال ما يستحق .

تنهد المدير ، وهز رأسه ، قائلاً :

- بالتأكيد .

ثم شرد ببصره بعيدًا بضع لحظات ، قبل أن يلتفت إلى (جولدمان) ، قائلا :

- ربما كانت هناك وسيلة واحدة ، لإصلاح كل هذا .

هتف (جولدمان) فى لهفة :

- حقًا ؟!

أومأ المدير برأسه مؤكدًا ، قبل أن يقول فى حزم أكثر :

- ما زالت أمامكم ساعة وبعض الساعة ، قبل أن تشرق الشمس .. أليس كذلك ؟!

لم يفهم (جولدمان) ما يعنيه المدير ، فتمتم فى شىء من الحذر :

- بلى ، ولكن ..



وانعقد حاجبا (جولدمان) في شدة ..
فالقضاء على (أدهم صبرى) لم يعد مجرّد هدف عام ..

قاطعه المدير فى حزم :

- ضع اللمسة الأخيرة للمباراة ، قبل شروق الشمس ، وسيغفر لك الجميع كل ما حدث .. بل وربما تنال ترقية أيضًا .

سأله (جولدمان) فى حذر أكثر :

- ما الذى تعنيه باللمسة الأخيرة يا سيادة المدير ؟!

أشار المدير بسبابته ، وهو يميل نحوه ، قائلاً فى حزم وصرامة :

- إلقاء القبض عليه .. على (أدهم صبرى) .. وقبل شروق الشمس .

وانعقد حاجبا (جولدمان) فى شدة ..

فالقضاء على (أدهم صبرى) لم يعد مجرّد هدف عام ..

لقد صار هدفه الأوّل ..

هدفه ومستقبله ، و ..

وحياته ..

حياته كلها .

★ ★ ★

٦ - قبل الشروق ..

« يا لها من ليلة ! »

غمغم وزير الخارجية بالعبارة ، وهو يتثاءب فى إرهاق ، متطلعًا عبر نافذة حجرة مكتب مدير المخابرات العامة المصرية ، قبل أن يلتفت إلى هذا الأخير ، مستطردًا بابتسامة مرهقة :

- ولكن من حسن الحظ أنها قد انتهت بانتصار .

أشار مدير المخابرات بيده ، وهو يقول فى تحفُّظ :

- لم يحنْ وقت الاحتفال بالنصر بعد .

اتسعت ابتسامة الوزير ، وهو يقول :

- يا لطبيعتكم المعقَّدة يا رجال المخابرات .. لقد نجحتم فى إخراج رجلكم من قلب أخطر مكان فى (إسرائيل) ، ومرَّرتموه تحت أنف كل رجال الأمن هناك ، ووضعتموه فى طائرة ، حملته خارج حدودهم ، على الرغم من كل التعقيدات والإجراءات ، التى تم اتخاذها ، لتمزيقكم أربًا .. أى انتصار يفوق هذا !!

تطلَّع إليه مدير المخابرات بضع لحظات فى صمت ، ثم لم يلبث ، أن اعتدل ، قائلاً :

- (قدرى) لم يصل إلى (مصر) بعد يا سيادة الوزير .

قال الوزير :

- ولكنه فى طريقه إليها .

صمت المدير لحظة أخرى ، قبل أن يقول فى حزم :

- كل شىء يمكن حدوثه ، فى خلال رحلته إلى هنا .. كل شىء وأى شىء .

انعقد حاجبا الوزير ، وهو يتطلَّع إليه فى قلق ، قبل أن يسأله فى اهتمام :

- ما الذى تخشون حدوثه بالضبط ؟!

تطلَّع إليه المدير بدوره ، وهو يقول :

- كما سبق أن أخبرتك يا سيادة الوزير .. كل شىء ، وأى شىء .

بدا الغضب على وزير الخارجية ، وهو يقول فى حدة :

- كفَّ عن تحفُّظك الغريزى هذا يا رجل ، وأخبرنى ما لديك .. إننا نعمل فى معسكر واحد .. أليس كذلك ؟!

ابتسم مدير المخابرات ، قائلاً :

- ليس تحفظاً يا سيادة الوزير .. صدقنى .. إنه الواقع .. نحن لا نخشى شيئاً محدداً ، ولكننا كعادتنا ، لا نشعر بالاطمئنان ، إلا عندما نضع اللمسة الأخيرة للعملية ، وما دمنا لم نحكم قبضتنا على الموقف تماماً ، فنحن نواصل التصرُّف بمنتهى الحرص والحذر ، باعتبار أن المهمة لم تنته بعد .

سأله الوزير :

- وما الذى يمكن أن يفعله الإسرائيليون الآن ؟!

هزّ مدير المخابرات كتفيه ، وقال :

- أخشى أن أمنحك الجواب نفسه ، الذى يثير حنقك يا سيادة الوزير ، ولكن ينبغى أن تعلم أن الإسرائيليين ليسوا أغبياء ، بل هم رجال مخابرات متميزون أيضاً ، ولا يوجد ما يمنع كشفهم للعبة ، بعد إقلاع طائرة (قدرى) بالفعل ، ولأنهم لا يتقبلون الهزائم بسهولة ، لا يميلون إلى التراجع قط ، ما دامت احتمالات النصر واردة ، شأنهم شأن أى رجال مخابرات فى العالم ، فربما يواصلون سعيهم خلفه ، من خلال أحد رجالهم فى الطائرة ، أو فى مطار (هيثرو) مثلاً .

هتف الوزير مبهوتاً :

- يا إلهى ! أهذا ممكن ؟!

أومأ المدير برأسه إيجاباً ، وهو يقول فى حزم :

- فى عالمنا كل شىء ممكن يا سيادة الوزير .

بدا مزيج من التفهم والقلق ، على وجه الوزير ، وهو يقول :

- ألهذا طلبت منى أن آمر سفيرنا فى (لندن) باستخراج جواز سفر دبلوماسى أحمر ، باسم (قدرى) ؟!

أومأ المدير برأسه إيجاباً مرة أخرى ، وقال :

- بالضبط .

رفع الوزير حاجبيه وخفضهما ، قبل أن يقول فى إعجاب :

- من الواضح أنكم تخططون عملياتكم جيداً .

ابتسم المدير ، قائلاً :

- عملية مخابرات دون تخطيط دقيق ، تعنى الفشل الذريع يا سيادة الوزير .

انتقلت ابتسامته إلى الوزير ، وهو يقول :

- بالتأكيد .

ثم جلس على الأريكة الوثيرة ، المجاورة للنافذة ، وهو يستطرد :

ـ ولكن اسمح لى بالاعتراض على أن الإسرائيليين ليسوا أغبياء ، فما فعله بهم (أدهم) ، خلال اليومين الماضيين ، يؤكد العكس تمامًا .

بدت الجدية على وجه مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـ معذرة يا سيادة الوزير ، ولكننى ما زلت أصر على أن الإسرائيليين ليسوا أغبياء أبدًا ، بل هم فى غاية الدقة والذكاء ، وما فعله (أدهم) لا يشف عن العكس ، وإنما يؤكد أنهم أذكياء ، ولكننا أكثر ذكاءً .

وجلس بدوره إلى جواره ، متابعًا فى اهتمام :

ـ لقد درسنا ردود أفعالهم بدقة تامة ، مع وضعنا فى الاعتبار حساسيتهم المفرطة ، فى التعامل مع (أدهم) بالذات ، ثم اعتمدنا على قدراته ومهاراته ، وموهبته المدهشة فى التنكر ، وفى انتحال شخصية الآخرين ، على نحو مذهل ، لنضع خطة متقنة للغاية ، لها جدول زمنى مدروس بمنتهى منتهى الدقة ، بحيث تسير العملية من خطوة إلى أخرى ، ومن موقف إلى آخر ، دون أن ينتبه الإسرائيليون لحظة واحدة

إلى أننا نقودهم فى براعة ، إلى ما نسعى نحن إليه ، وهم يتصورون أنهم ينطلقون نحو ما يسعون هم إليه

ابتسم الوزير ، قائلاً :

ـ آه .. تمامًا كما فعلتم فى ذلك الفندق ، عندما انتظر (أدهم) كشف أمره ، لينطلق إليه ، ويصعد إلى حيث ينتظره (ماجد) ، ويلعبان معًا تلك اللعبة المتقنة ، التى شغلت الإسرائيليين بعض الوقت ، إلى أن تمكن هو من إخراج (قدرى) من البيت الكبير .

أجابه مدير المخابرات فى حزم :

ـ بالضبط ، ومثل السيارة الإضافية ، التى تركها فى الطريق ، ونقل إليها (قدرى) ، من سيارة (جولدمان) .. كل شىء كان معدًا بدقة لا يمكنك تصورها يا سيادة الوزير .

ثم ابتسم ، مستطردًا :

ـ وأفضل ما فى الأمر ، هو أن عقولنا البشرية وحدها هى التى صنعت هذا .. عقول رجالنا ، الذين تفوقوا كالمعتاد على أفضل برنامج كمبيوتر فى العالم .

لوح الوزير بكفه ، قائلاً :

- الكمبيوتر أصبح ضرورة قصوى ، فى هذا العصر .

أجابه المدير :

- بالتأكيد ياسيادة الوزير .. لقد أدخلناه فى إدارتنا منذ زمن طويل ، ورجالنا خبراء بحق فى هذا المضمار ، ولكنهم اعتادوا العمل بعقولهم البشرية ، لأننا لا نحظى بالتكنولوجيا الإليكترونية المتقدّمة ، كما تحظى بها (إسرائيل) ، من الولايات المتحدة الأمريكية مباشرة ، ولا ينبغى أن نجعل الصراع بيننا وبينهم صراعًا تكنولوجيا محضًا ، بل علينا أن نجبرهم على الدخول معنا فى صراع بشرى متكافئ على الرغم منهم .

أومأ الوزير برأسه فى إعجاب ، متمتمًا :

- تفكير رائع يا مدير المخابرات .. لقد جعلتنى أطمئن على مستقبل (مصر) بالفعل .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى اهتمام :

- وكم أتمنى أن نطمئن معًا على مستقبل (أدهم) .

انعقد حاجبا مدير المخابرات ، وهو يقول :

- الواقع يا سيادة الوزير أن (أدهم) يمرّ الآن بأدقّ مرحلة فى العملية كلها .. المرحلة التى يعتمد

عليها نجاح أو فشل المهمة كلها .. بل وربّما تعتمد عليها حياة (أدهم) نفسها .

غمغم الوزير :

- يا إلهى ! إلى هذا الحد ؟!

أومأ المدير برأسه مؤيدًا ، ونهض يتحرّك فى الحجرة فى توتر ، قائلاً :

- سيكون عليه أن يواجه رجال (الموساد) ، وأن يقف أمامهم وجهًا لوجه ، فى عقر دارهم ، حتى يؤمّن وسيلة الخروج من (إسرائيل) .

هتف الوزير فى انبهار :

- وكيف سيمكنه أن يفعل هذا ؟!

صمت المدير لحظة ، وكأنه يقاوم ذلك التحفّظ الغريزى فى أعماقه ، قبل أن يجيب :

- سيعتمد على نفس الموهبة ، التى بنينا عليها خطتنا كلها .. سينتحل شخصية أحد كبار رجال دولتهم .

سأله الوزير بأنفاس مبهورة :

- من ؟!

صمت المدير طويلاً هذه المرة ، قبل أن يبتسم ، قائلاً :

- خمّن .

ولم يكن من الممكن أن يستنتج وزير الخارجية الجواب ..

لم يكن من الممكن أبدا ..

★ ★ ★

احتقن وجه رئيس الوزراء الإسرائيلى فى شدة ، وهو يلوّح بذراعيه كلهما ، هاتفا بغضب هادر :

- أية حماقة ارتكبتموها الليلة ؟! بل أى عبث هذا ، بأمن وأمان كل مواطن فى (إسرائيل) ؟! هل تعلم ما الذى فعله بى الجميع بسبب غبائكم ؟! الكل يهاجموننى بمنتهى العنف .. حتى الرئيس الأمريكى نفسه دسّ أنفه الكبير فى شئوننا ، وسألنى بكل صفاقة عما يحدث فى (تل أبيب) .

انعقد حاجبا (دافيد) فى عصبية ، وهو ينقل بصره بين رئيس الوزراء ، وحراسه الأربعة المحيطين به ، قبل أن يقول متوترا :

- الجميع يعلمون أننا مجتمع مهدّد دائما يا سيادة رئيس الوزراء ، وأن الأعداء يحيطون بنا من كل جانب ، والعديدون يتربصون بنا فى كل لحظة .

ومن حقنا أن نتخذ أية إجراءات ، من شأنها حماية أمننا ومصالحنا .

صاح به رئيس الوزراء فى غضب :

- الكل يدرك هذا فقط عندما تنتصر يا رجل .. لا أحد يستمع إلى الفاشلين ، أو يقتنع بأسبابهم ومبرّراتهم .. الهزيمة يتيمة ، والنصر له ألف أب .. وأنتم الآن فى الجانب الخاسر .. لقد أثرتم بركانا من الغضب ، دون أن تحققوا نتيجة واحدة رابحة ، بل على العكس .. لقد خسرتم أسيركم ، وتلقيتم صفعة على أقفيتكم ، من ذلك الجاسوس المصرى ، ووضعتمونى والحكومة كلها فى موقف بالغ السخافة ، لم نمرّ بمثله قط ، ولسنا مستعدين للانحناء بسببه ، أمام أى مخلوق .

تردّد (دافيد) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى عصبية :

- ربّما لسنا المسئولين عما حدث ، يا سيادة رئيس الوزراء المحترم .

انعقد حاجبا رئيس الوزراء الإسرائيلى فى شدة ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى يا رجل ؟!

ازدرد (دافيد) لعابه فى توتر ، وتردَّد بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى عصبية شديدة ، وهو يلوِّح بيده :

ـ أعنى أنه ربَما كان الجاسوس نفسه هو المسئول .

رمقه رئيس الوزراء بنظرة طويلة ، قبل أن يقول فى سخرية :

ـ أتعنى أن (أدهم صبرى) ؛ هو الذى أشعل النيران من حوله بنفسه .

انتفض شىء ما فى فى أعماق (دافيد) ، عندما نطق رئيس الوزراء عبارته الأخيرة ، فحدَّق فيه بشدة ، والنيران تشتعل فى أعماقه ..

نيران الشك ..

كيف علم رئيس الوزراء باسم (أدهم صبرى) هذا ؟!

ولماذا انقلبت انفعالاته بغتة ، من الغضب إلى السخرية ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

وبكل شكوك الدنيا ، راح يحدَّق فى وجه رئيس

الوزراء ، الذى قال ، وهو ينقلب بغتة أيضًا ، من السخرية إلى الصرامة :

إنك لم تجب سؤالى يا رجل .

قال (دافيد) فى بطء حذر :

ـ ربَما فعلها ليثير ارتباكنا .

هتف رئيس الوزراء ، وهو يستعيد سخريته :

ـ حقًا ؟!

رمقه (دافيد) بنظرة طويلة أخرى ، ملؤها التوتر والشك والقلق ، قبل أن يقول فى شىء من الحدة ، لا يتفق مع الموقف :

ـ قل لى يا سيادة رئيس الوزراء : لماذا يلوح لى أنك لا تصدَّق حرفًا واحدًا مما أقول ؟!

انعقد حاجبا رئيس الوزراء ، وهو يخرج من جيبه شريط تسجيل صغيرًا ، قائلاً فى حدة غاضبة :

ـ لأن لدى هذا يا رجل .

تعلَّق بصر (دافيد) بشريط التسجيل الصغير ، فى حين أشار رئيس الوزراء إلى أحد رجاله ، فناوله جهاز تسجيل صغيرًا ، يناسب المقياس الخاص للشريط ، الذى دسَّه رئيس الوزراء فى الجهاز ، ثم ضغط زر الاستماع ، وهو يقول فى حنق :

- ربما أمكنك تعرُف الصوتين .

ومع ضغطه الزر ، انبعثت الأصوات من جهاز التسجيل والبث ..

واتسعت عينا (إليعازر) ، المساعد الأول لـ (دافيد) ، فى مزيج من الدهشة والارتياع ، فى حين انعقد حاجبا هذا الأخير فى شدة ، واحتقن وجهه عن آخره ، وهو يستمع إلى ذلك الحديث ..

الحديث الذى دار بينه وبين زوجته (ليليان) ، فى صباح اليوم السابق ، وهما يعدّان خطة تلفيق تهمة إشعال الخطة (أ) لـ (أدهم صبرى) ..

وكان التسجيل دقيقًا واضحًا ، على نحو لا يقبل الشك ..

وبكل الصرامة والتحدى ، تطلّع رئيس الوزراء إلى (دافيد) ، الذى ظلّ صامتًا ، حتى انتهى الحديث ، ثم رفع عينيه إليه فى غضب شديد ، جعل رئيس الوزراء يقول فى صرامة :

- إننى أنتظر اعترافًا صريحًا .

احتقن وجه (دافيد) أكثر وأكثر ، وتضاعف غضبه مع شكوكه ألف مرة ، قبل أن يصرخ :

- ولكنك لن تحصل عليه أبدًا .

قالها ، وهو ينقضّ على رئيس الوزراء ، بكل غضب الدنيا ، ولكن رجال الحراسة قفزوا يحولون بينه وبين رئيس الوزراء ، وهم يرفعون قبضاتهم لحماية الأخير ، بعد أن تركوا أسلحتهم عند البوّابة الخارجية ، وفقًا للقانون ..

وبكل قوته ، لكم (دافيد) أحدهم فى أنفه ، ثم وثب يركل الثانى فى معدته ، ولكن الثالث انقضّ عليه من الخلف ، وكبل ذراعيه بساعدين كالفولاذ ، فى حين هوى الرابع على فكه بثلاث لكمات متلاحقة ، بدت أشبه بمطارق هائلة من الصلب ..

ومادت الأرض بـ (دافيد) فى عنف ، فتراجع صارخًا :

- إلىّ يا رجال .

لم تكد صرخته تكتمل ، حتى اقتحم رجال الأمن ، الذين يراقبون الموقف على شاشاتهم منذ البداية ، حجرة (دافيد) ، وصوّبوا أسلحتهم إلى رئيس الوزراء وحراسه الأربعة ، فهتف الرجل فى غضب :

- خيانة .. انقلاب .. لا يمكنكم أن تفعلوا بى هذا .. لا يمكنكم أن تصوّبوا أسلحتكم إلى رئيس الوزراء .

صاح به (دافيد) فى غضب ، وهو يستعيد توازنه فى صعوبة :

ـ هراء .. لن يصدّق أحد ادعاءاتك الآن يا هذا .. لقد شككت فى أمرك منذ البداية ، ثم أيقنت من هويتك ، عندما أبرزت ذلك الشريط السخيف .

صاح به رئيس الوزراء فى حدة :

ـ ذلك الشريط السخيف سينسف مستقبلك نسفًا .. بل لن يكون لك أى مستقبل ، بعد ما فعلته .

صرخ (دافيد) فى وجهه :

ـ قلت لك : لن يصدّقك أحد .

ثم قفز يجذب بشرته فى قوة ، صارخًا :

ـ يا سيّد (أدهم) .

انطلقت صرخة ألم مذعورة ، من بين شفتى رئيس الوزراء ، وراح جسده ينتفض فى رعب ، وهو يهتف :

ـ ستدفع ثمن تطاولك هذا غاليًا .. سأسحقك سحقًا .

وبكل ذهول وذعر الدنيا ، تراجع (دافيد) ..

وهوى قلبه بين قدميه ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ، ومساعده يهتف :

ـ يا للشيطان ! يا للشيطان !

هذا لأن الواقف أمامهما ، بين حرّاسه الأربعة ، كان رئيس الوزراء ..

رئيس الوزراء الإسرائيلى الحقيقى ..

بلحمه ..

وشحمه ..

★ ★ ★

« أظننا ابتعدنا كثيرًا يا سيادة المدير .. »

نطق (جولدمان) العبارة فى توتر ، فتوقّف مدير المخابرات الإسرائيلى ، وأشار إلى حارسه الخاص ، قائلاً :

ـ نعم هذا صحيح .

ودسّ كفيه فى جيبى معطفه ، مستطردًا ، وهو يتلفت حوله :

ـ ولكننى أعتقد أن هذه المنطقة مناسبة تمامًا .

سأله (جولدمان) ، فى مزيج من الحيرة والحذر :

ـ مناسبة لماذا ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى فوجئ بفوهة مدفع باردة تلتصق بصدغه الأيسر ، مقترنة بصوت ساخر ، يقول بالعبرية :

- للقضاء عليك أيها الوغد .

انتفض جسد (جولدمان) فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدّق فى ابتسامة المدير الساخرة ، قبل أن يهتف :

- إذن فهذه هى الخطة ! أن يتمّ التخلّص منا ، أنا و (دافيد) ، ككبشى فداء للعملية كلها !! لقد انتزعتنى من بين رجالى ، وأتيت بى إلى هنا لـ ...

قاطعه المدير فى سخرية :

- عجبًا ! ألم تستوعب الموقف بعد يا (جولدمان) ؟!

وفى هذه المرة كانت انتفاضة (جولدمان) عنيفة بحق ..

كانت تفوق انتفاضته الأولى بألف مرة ..

على الأقل ..

هذا لأن الصوت ، الذى خرج من بين شفتى المدير ، فى العبارة الأخيرة بالتحديد ، لم يكن يشبه صوته إطلاقًا ..

لقد كان مختلفًا ..

وبشدة ..

لأنه ، فى الواقع ، كان صوت (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

وعلى الرغم من كل توقعاته ، واحتمالاته ، واستنتاجاته ، واستنباطاته ، وعبقريته ، وخبراته ، بدا رئيس قسم العمليات الخاصة فى (الموساد) كالأبله ، عندما سقط فكه الأسفل ، واتسعت عيناه ، وجحظتا على نحو مضحك ، وهو يحدّق فى (أدهم) ، مردّدًا كالذاهل :

- مستحيل !

هزّ (أدهم) كتفيه فى هدوء ، قائلاً :

- أنت تعرف القاعدة يا (جولدمان) .. فى عالمنا لا يوجد مستحيل .

كان الرجل على شفا انهيار ، وهو يقول بصوت مرتجف :

- ولكنك .. ولكن .. لقد كنت تعلم بأمر فشل (روبرت) ، وعملية ابنة (فورد) ، واختلاسات (ويبلى) .. بل وكنت تعرف الاسم الكودى للمدير ، ورقمه أيضًا !!

ابتسم (أدهم) ، مجيبًا :

- ربّما كانت المخابرات المصرية أبرع مما تتصوّرون .

غمغم (جولدمان) دون أن يدرى :

ـ بل مما نتخيَل .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـ هذا حقيقى .

ثم أشار بسبَابته ، مستطردًا :

ـ ثم إن هذا درس جيد ، حول أهمية المعلومات الصغيرة ، فلقد أقنعتكم تمامًا ، بمجموعة من المعلومات الصغيرة ، التى بدت تافهةً فى حينها ، ولكن القاعدةَ الذهبية ما زالت تثبت صحتها .. لا توجد معلومةٌ كبيرةٌ وأخرى صغيرة .. كلها عبارة عن معلومات بالغة الأهمية ، عندما يحتاج الأمر إليها .

حاول (جولدمان) أن يقول شيئًا ..

أن يقاوم ..

أو يقاتل ..

أو حتى يصرخ ..

ولكن يبدو أن الإجهاد ، والإحباط ، والمفاجأة ، واليأس ، كلها جعلته أقرب إلى الاستسلام ، وهو يتمتم .

ـ يا للشيطان !

ثم غمغم بصوت بائس :

ـ وكنت بصحبة حارس خاص أيضًا .

ابتسم الحارس الخاص ، وانتزع لحيته القصيرة وشاربه الكث ، وهو يقول باللغة العربية ، وباللهجة الفلسطينية ، التى يجيدها (جولدمان) جيدًا :

ـ (أديب الريس) فى خدمتك أيها الوغد .

وللمرة الثالثة ، خلال دقائق معدودة ، انتفض جسد (جولدمان) فى عنف ، وهو يستدير بمنتهى الحدة ، ويحدق ذاهلاً فى وجه (أديب) ، هاتفًا :

ـ (أديب الريس) ؟! ولكن هذا مستحيل ! لقد لقيت مصرعك ، أمام عيون رجالى كلهم .

أطلق (أديب) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ـ رجالك اعتادوا رؤية ما يحلو لهم يا هذا .. سيارة (كوهين) وحدها لقيت مصرعها ، أما أنا فلا .. ليس من السهل التخلص منى على هذا النحو .. خبراتى كفلسطينى مقاتل ، منذ زمن طويل ، علمتنى كيف اختفى بمنتهى البراعة ، وسط الطبيعة المحيطة ، بكل صورها .

احتقن وجه (جولدمان) ، وهو يغمغم :

ـ أنت .. أنت ..

قاطعه (أديب) فى صرامة :

ـ معذرة يا هذا ، ولكن الوقت أضيق من أن نضيعه فى سخافات وذكريات .. دعنا ننه مهمتنا بسرعة .

قالهـا ، وجـذب إبـرة مدفعـه ، فاتسـعت عينـا (جولدمـان) ، وتشنجت عضلاتـه فـى عنـف ، ولكـن (أدهم) قال فى هدوء :

- اطمئن يا (جولدمان) .. إنه لا يريد قتلك .

قال (أديب) فى صرامة :

- ما لم تضطرنى لهذا .

هتف (جولدمان) بصوت مختنق :

- ماذا تريدان إذن ؟!

مال (أديب) نحوه ، قائلاً فى صرامة ساخرة :

- ثيابك .

وفى هدوء ، خلع (أدهم) معطفه ، قائلاً :

- هيا يا (جولدمان) .. سنستبدل ثيابنا بسرعة ، ما دام الطريق هادئًا خاليًا على هذا النحو ..

لم يكن أمام (جولدمان) سوى أن يذعن للأمر ، وهو يقول فى مرارة :

- مستحيل ! مستحيل أن تفعل بنا كل هذا ! مستحيل أن تعبث بجهاز (الموساد) ، على هذا النحو .

هزّ (أدهم) كتفيه مرة أخرى ، قائلاً :

- إننى لم أفعلها وحدى فى الواقع .. لقد كانت خطة متكاملة ، أعدتها وأشرفت عليها المخابرات المصرية كلها .

قال (جولدمان) فى ذهول :

- خطة ؟! كل هذا كان خطة .

أجابه (أدهم) ، مشيرًا بسبابته :

- أجل يا (جولدمان) .. كانت خطة متقنة ودقيقة ، على نحو لا يمكنك حتى تخيله ، ولقد راعينا فيها أدق التفاصيل ، حتى إنكم كنتم بالنسبة لنا مجرد قطع من الشطرنج ، نقودها إلى الموقع الذى نريده من الرقعة طوال الوقت .

قال (جولدمان) فى ذهول أكثر :

- أنتم ؟! أنتم فعلتم هذا ؟!

قال (أديب) فى سخرية :

- هل أذهلتك براعتهم أيها الوغد ؟!

ثم مال نحوه مستطردًا :

- ألم تذهلك براعتنا أيضًا ؟! لقد خدعتكم لسنوات عديدة ، وأنتم تتصورون أننى أعمل لحسابكم ، فى حين كنت أعمل لحساب وطنى ، وأصدقاء وطنى طوال الوقت .

كان هذا أكثر مما يمكن لـ (جولدمان) احتماله فى تلك الليلة ، فغامت عيناه بدموع الهزيمة والمرارة ، وهو يتمتم :

- لقد انكشف أمرك على الأقل .

أجابه (أديب) فى حرارة :

ـ كان هذا أفضل ما حدث لى ، منذ عشر سنوات على الأقل ؛ فأخيرًا أدرك رفاقى وزملائى حقيقة دورى ... أخيرًا سيمكننى أن أقاتلكم بأوراق مكشوفة ، ووجه عار .

قال (جولدمان) فى مرارة شديدة :

ـ أقسم أن أبحث عنك طوال الوقت ، وأن أسعى خلفك ، دون كلل أو ملل ، حتى أقتص منك .. لن تجد شبرًا واحدًا ، فى (إسرائيل) كلها ، يمكنك الاختباء فيه .

ضحك (أديب) فى سخرية ، قائلاً :

ـ بل سيدهشك أنه هناك مئات الأماكن فى (فلسطين) ؛ لإخفاء شخص مثلى .

ألقى (أدهم) نظرة على ساعته ، وقال فى حزم :

ـ لقد أضعنا وقتًا طويلاً ، والشمس على وشك الشروق ، ولا بد أن نتمّ العملية كلها قبل ذلك .

غمغم (أديب) :

ـ فليكن .

ثم قال لـ (جولدمان) فى خشونة :

ـ ضع يديك خلف ظهرك يا هذا .

وبينما كان يقيّد معصميه خلف ظهره فى إحكام ، قال (جولدمان) لـ (أدهم) فى عصبية :

ـ هل تعتقد أنك ستنجو بفعلتك هذه ؟!

أجابه (أدهم) بابتسامة كبيرة :

ـ بالتأكيد ، فمع وجهك وهيئتك ، وهويتك غير القابلة للتزوير ، وبعد أن أرهقتم جنودكم طوال الوقت ، فى تنفيذ العملية (أ) ، لن يكون من العسير أن أغادر (إسرائيل) كلها ، قبل أن ينتبه أحد لما يحدث .. وقبل حتى أن يعثروا عليك .

هتف (جولدمان) :

ـ الأمر ليس بهذه البساطة !

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ بل هو أبسط مما تتصوّر يا رجل .. فعلى مسافة كيلومترات قليلة ، فى البحر الأبيض المتوسّط ، تنتظرنا غواصة مصرية ، عند الشروق تمامًا ، لتعود بنا إلى الوطن .

حاول (جولدمان) أن يقول شيئًا ، ولكن (أديب) كمّم فمه فى غلظة ، وهو يقول بلهجة ساخرة :

ـ كفى يا هذا .. لقد سمعت أكثر مما ينبغى .

قالها ، وهو يفتح حقيبة خلفية لسيارة كبيرة ،

ثم حمل (جولدمان) فجأة بقوة مدهشة ، وألقاه داخلها ، ثم أغلقها فى إحكام ..

وفى هدوء لا يخلو من السخرية ، لوّح (أدهم) بسبّابته ووسطاه ، قائلاً :

- وداعًا يا (جولدمان) .. حاول أن تتذكّر هذه الهزيمة طويلاً .. طويلاً جدًّا ..

ثم التفت إلى (أديب) ، قائلاً فى حزم :

- والآن بقيت أمامنا مهمة .

وانعقد حاجباه ، وهو يستطرد :

- مهمة وحيدة .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وأضاف فى حسم :

- وأخيرة ..

★ ★ ★

جفّف الضخم عرقه الغزير ، على الرغم من برودة الطقس ، وبدا وكأنه يلهث ، وهو يقول فى غضب محنق :

- هذه المصرية الحقيرة مرهقة للغاية .. لقد حطّمت فكها ثلاث مرات على الأقل ، دون أن تنفك عقدة لسانها .

أشعل (روبرت) سيجارته ، وهو يقول :

- لا داعى للتوتر يا رجل .. لقد حصلنا منها على الكثير بالفعل .

قال الضخم فى حدة :

- أى كثير هذا ؟!

أشار (روبرت) بسيجارته ، قائلاً :

- لقد اعترفت أنها جاسوسة مصرية على الأقل .

مطّ الضخم شفتيه ، فأضاف (ويلى) فى حزم :

- هذا كثير جدًّا .

صاح الضخم :

- وماذا بعد أن اعترفت بهذا ؟! إنها لم تخبرنا أين ذلك الشيطان ، أو حتى عن اسمها الحقيقى .

هزّ (فورد) كتفيه ، وهو يلتقط سيجارة (روبرت) ، ليشعل بها سيجارته ، قائلاً :

- ليس من الضرورى أن تحصل منها على كل شىء دفعة واحدة .

هتف الضخم :

- ولكن أدون (جولدمان) قال ..

قاطعه (ويلى) فى صرامة :

- حتى ولو قال (جولدمان) أضعاف ما قاله ،

لن يمكنه انتزاع حرف واحد منها ، فمن الواضح أنها تجهل بالفعل أين (أدهم) .

انعقد حاجبا (روبرت) ، وهو يقول :

ـ ذلك الشيطان حذر للغاية ، ولن يمكننا التوصل إليه بهذه البساطة .

قال (فورد) ، وهو ينفث دخان سيجارته في قوة :

ـ مجيء المدير إلى هنا يعنى أن الأمر قد بلغ حدًا غير مقبول ، ومن الواضح أن موقف (جولدمان) و(دافيد) سيئ للغاية .

نقل (ويبلى) بصره بينهما لحظة ، قبل أن يقول :

ـ هل تعلمان أن رئيس الوزراء هنا ؟!

قفزت الدهشة إلى وجوههم جميعًا ، وهتف (روبرت) :

ـ رئيس الوزراء شخصيًا ؟

أجابه بإيماءة من رأسه ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

ـ لقد وصل منذ ساعة تقريبًا ، ووجهه يكاد يشتعل من فرط الغضب ، وبعض الخبثاء يهمسون بأنه قد تلقى شريط تسجيل يحوى محادثة بالغة الخطورة ، بين (دافيد) و(ليليان) .

هتف (فورد) مبهورًا :

ـ بين (دافيد) وزوجته ؟! يا للشيطان !! ومن يرسل إلى رئيس الوزراء شريطًا كهذا ؟!

تبادل الثلاثة الآخرون نظرة صامتة ، قبل أن يجيب الضخم فى خشونة :

ـ ومن سواه ؟!

تبادل الأربعة نظرة ملؤها التوتر والقلق هذه المرة ، قبل أن يغمغم (ويبلى) :

ـ أنتم على حق .. موقف (دافيد) دقيق للغاية ، ومن المؤكد أنه ستحدث تغيرات كثيرة فى قيادات (الموساد) ، بعدما حدث الليلة ، وربما فقد (جولدمان) أيضًا ....

قبل أن يتم عبارته ، دلف (أدهم) إلى المكان ، بهيئة وصوت ولهجة (جولدمان) ، وهو يقول :

ـ من يتحدث عن (جولدمان) ؟!

ارتبك الرجال الأربعة ، وغمغم الضخم فى اضطراب :

ـ كنا نتناقل بعض الأخبار فحسب .

سأله (أدهم) ، وهو يتجه نحو (راشيل) مباشرة :

ـ حول ماذا ؟!

تبادل الرجال نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يجيب (فورد) :

ـ (دافيد بلو) فى مأزق كبـير ، فقد تلقَّى رئيس الوزراء شريط تسجيل يدينه بشدة .

قال (أدهم) فى صرامة ، وهو يرفع وجه (راشيل) إليه :

ـ إنه يستحق هذا .

كان وجهها مغطى بكدمات وسحجات عديدة ، والدماء تغرق فكها السفلى ، وتسيل من أنفها المحطَّم ، فقال فى غضب :

ـ من فعل بها هذا ؟!

أجابه الضخم فى عصبية :

ـ لقد كنت أنفذ أوامرك يا أدون (جولدمان) .

التفت إليه ، قائلاً فى غضب صارم :

ـ وهل طلبت منك تحطيم وجهها إلى هذا الحد ؟!

أشار الضخم بيده ، قائلاً :

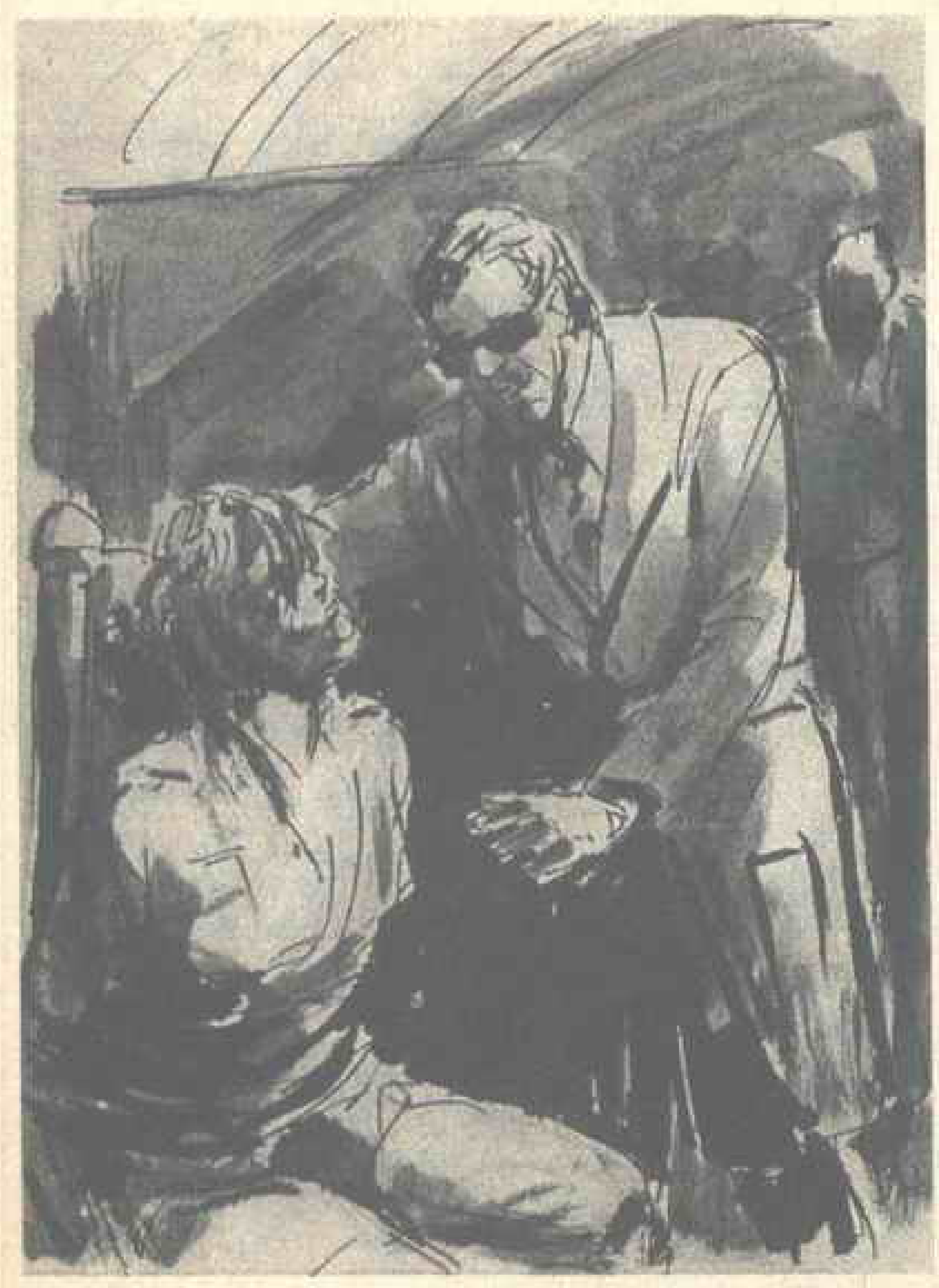
ـ الواقع أن ..

قاطعه بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

ـ لا عليك .. لن نضيع الوقت فى الشرح والتفسير .

قال أحد الرجال الثلاثة فى حذر :

ـ أنت على حق يا أدون (جولدمان) .. الوقت ضيق للغاية .



كان وجهها مغطى بكدمات وسحجات عديدة ، والدماء تغرق فكها السفلى وتسيل من أنفها المحطَّم ..

ألقى (أدهم) نظرة على ساعته ، وقال :

ـ بالفعل .. إنه ضيق للغاية .. لذا ..

ودار على عقبيه بسرعة مدهشة ليلكم الضخم فى أنفه مباشرة ، مكملا :

ـ فسأبدأ على الفور .

كانت اللكمة كالقنبلة ، حتى إنها انتزعت الرجل ، على الرغم من ضخامته ، وأطارته عبر الحجرة ، لأربعة أمتار كاملة ، قبل أن يرتطم بالجدار فى عنف ..

وفى حدة ، صرخ (فورد) :

ـ يا للشيطان ! إنه ليس (جولدمان) .

وفى آن واحد تقريبا ، انتزع الرجال الثلاثة مسدساتهم ، و (ويلى) يكمل :

ـ إنه (أدهم صبرى) .

ومع كلماته ، ضغط ثلاثتهم زناد مسدساتهم ، و ....

وانطلقت النيران ..

وتفجرت الدماء ..

فى عنف .

★ ★ ★

٧ ـ المطاردة الأخيرة ..

أبرز مدير المخابرات الإسرائيلية الحقيقى هويته الخاصة جدا ، غير القابلة للتزوير ، وهو يقول لرئيس طاقم الحراسة فى صرامة ، عند البيت الكبير :

ـ كلمة السر الحالية (ديان) .. افتح البوابة .

تردد رئيس الطاقم لحظة ، قبل أن يفتح البوابة ، وهو يفحص وجه المدير ببصره فى اهتمام ، قائلا :

ـ مرحبا يا سيادة المدير .. الواقع أننا لم نكن نتوقع الزيارة ، فى ساعة كهذه !

مط المدير شفتيه ، وهو يعبر البوابة بسيارته ، قائلا :

ـ ولا أنا كنت أتوقعها .

تبع رئيس الطاقم السيارة فى قلق بالغ ، وهو يتساءل فى أعماقه : أهذا هو مدير المخابرات بالفعل أم ...

« هل وصل رئيس الوزراء ؟! »

قطع المدير أفكاره بسؤاله ، فهتف فى سرعة :

ـ لقد وصل يا سيادة المدير ، ويبدو أن الأمور سيئة هنا .

غمغم المدير فى عصبية :

ـ سيئة ؟! إلى أى حد ؟!

صمت رئيس الطاقم لحظة ، وهو يفحص وجهه بقلق أشدّ ، قبل أن يقول :

ـ لقد ألقوا القبض على أدون (بلو) .

انعقد حاجبا المدير ، وهو يقول :

ـ اللعنة ! إنها سيئة بالفعل .

قالها ، واتخذ طريقه إلى حيث مكتب (دافيد) ، فى حين تابعه رئيس الطاقم ببصره فى توتر ، قبل أن يهزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ فليكن المدير أو حتى ذلك الجاسوس .. ما الذى بيدى لأفعله ؟! هل كنت أصرّ على فحص المدير نفسه ، بعد ما حدث مع رئيس الوزراء ؟!

ثم هزّ كتفيه ، مستطردًا فى حنق :

ـ فليذهب كل شىء إلى الجحيم .. إنها ليلة لن تنتهى قط .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ،

كان المدير قد بلغ مكتب (دافيد) ، الذى بدا فى حالة سيئة للغاية ، وقد أحاط به حراس رئيس الوزراء فى صرامة ، والذى لم يكد يلمح المدير ، حتى هبَّ من مقعده ، هاتفًا فى لهفة ، كغريق يتشبَّث بآخر أمل له فى النجاة :

ـ سيِّدى الـ ..

ولكن أحد حرّاس رئيس الوزراء أجبره على العودة إلى مقعده بضغطة قوّية ، وهو يقول فى خشونة :

ـ اجلس ..

أما رئيس الوزراء نفسه ، فقد صاح فى وجه المدير :

ـ أهؤلاء هم رجالك ، الذين قلت عنهم : إنهم قد تلقوا تدريبات خاصة ، ويمكنهم تقدير الأمور جيِّدًا ؟!

أهؤلاء هم الأبطال البواسل المغاوير ، الذين تعتمد عليهم (إسرائيل) ، فى حفظ أمنها الخارجى والداخلى ؟!

انعقد حاجبا المدير ، وهو ينظر إليه فى صمت ، قبل أن يلتفت إلى (دافيد) ، ويسأله فى صرامة :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابه (دافيد) بصوت يرتجف فى شدة :

ـ إنه الكمبيوتر يا سيادة المدير .. كمبيوتر الذكاء

الصناعى الجديد .. لقد كشف كل ما حدث الليلة ، وكشف أمر فرار (قدرى) ، عن طريق انتحال شخصية سائح أمريكى ، ولقد افترض أن (أدهم) سيحاول التنكر فى هيئة إحدى الشخصيات المهمة ، حتى يمكنه الخروج من دائرة الحصار ، وعندما جاء سيادة رئيس الوزراء ، دون موعد سابق ، تصورت أن ...... أن ..

قاطعه المدير بإشارة من يده ، قائلا فى صرامة :

- كفى .. لقد فهمت .

ثم التفت إلى رئيس الوزراء ، مستطردا :

- لقد سمعت الرجل يا سيادة رئيس الوزراء ، وفى ظل الظروف الخاصة المتوترة ، أعتقد أن لديه مبرراته فى ما فعل ، على الرغم من ...

قاطعه رئيس الوزراء فى غضب شديد :

- ليس لديه أية مبررات للإساءة إلىّ وإهانتى ، على هذا النحو الوقح الصفيق القذر .

قال المدير فى حزم :

- لسنا هنا بصدد تصفية حسابات شخصية يا سيدى ، فالمعركة ما زالت قائمة ، بيننا وبين ذلك الجاسوس

المصرى الخاص جدًا ، وليس لدى سوى عدد قليل من الرجال ، لديهم الخبرة الكافية للتعامل معه ، والتصدّى له .

أطلق رئيس الوزراء الإسرائيلى ضحكة ساخرة عصبية عالية ، قبل أن يهتف فى حدة ، وبموجة غضب هادرة :

- هذا واضح يا مدير (الموساد) .. واضح للغاية .. لهذا نجح الجاسوس المصرى فى خداعكم والسخرية منكم ، على الرغم من كل إجراءات الأمن ، وعلى الرغم من الخطة (أ) ، التى أثارت غضب ودهشة واستنكار الدنيا كلها .. واضح فى نجاحه فى استعادة أسيركم ، والفرار تحت أنفكم .. واضح تمامًا يا مدير (الموساد) .

قال مدير (الموساد) فى صرامة :

- المعركة لم تنته بعد يا سيدى .. (أدهم صبرى) ما زال داخل أرضنا ، ولو أننا تحركنا بالسرعة اللازمة ، فسوف ...

قاطعه رئيس الوزراء فى حدة :

- المعركة لم تنته بعد ؟! أى قول سخيف هذا

يا مدير (الموساد) ؟! متى تتوقَّع أن تنتهى المعركة إذن ؟! بعد أن يقتلنا جميعًا .

زفر مدير (الموساد) فى عصبية ، وهو يقول :

- سيادة رئيس الوزراء .. فى الاستراتيجية العسكرية ، لا تعتبر المعركة منتهية ، قبل أن ...

أصابت كلماته جرحًا غائرًا ، فى شخصية رئيس الوزراء الإسرائيلى ، الذى لا يمتلك أية خبرات عسكرية أو سياسية سابقة على الاطلاق ، فصرخ فى غضب وعناد :

- استراتيجية عسكرية ؟! وما شأننا باستراتيجياتك العسكرية يا مدير (الموساد) ؟! لقد حاولتم وفشلتم .. هذا كل ما فى الأمر .

احتقن وجه مدير (الموساد) ، وهو يقول :

- فى عرفنا نحن ، لم نفشل بعد يا سيادة رئيس الوزراء .

هتف رئيس الوزراء فى عصبية :

- حقًا !

ثم استدار نحو (دافيد) ، صائحًا فى غضب :

- هذا الرجل على الأقل فشل فشلاً ذريعًا ، ولدى دليل مادى على هذا .

انعقد حاجبا مدير (الموساد) فى شدة ، وهو يلقى نظرة على (دافيد) ، الذى بدت نظراته المضطربة كدليل إدانة لا يقبل الشك ، ثم قال فى حزم صارم :

- فلينل جزاءه إذن .

بدت الدهشة على وجه رئيس الوزراء ، فى حين صرخ (دافيد) :

- سيِّدى .. إنك ..

قاطعه المدير :

- إنك تستحق هذا يا (دافيد) .. لقد راجعت التسجيلات بنفسى ، وكلانا يعلم أنك تستحق هذا .

انهار (دافيد) ، ودفن وجهه بين كفيه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين بدا رئيس الوزراء الإسرائيلى حائرًا ، وكأنما أربكه تأييد رئيس الوزراء المباغت له ، ثم لم يلبث أن تنحنح ، قائلاً فى عصبية :

- حسن .. أما بخصوص الآخر .. (جلادمان) أو ...

غمغم المدير فى خشونة :

- (جولدمان) ..

هتف رئيس الوزراء :

- نعم .. (جولدمان) .. إنه أيضًا قد ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع رنين الهاتف الخلوى فجأة ، فالتقطه من جيبه بحركة سريعة ، وهو يشير لرئيس الوزراء بالتوقف ، على نحو أحنق هذا الأخير ، وجعل وجهه يحتقن فى شدة ، ولكن المدير تجاهله تمامًا ، وهو يقول عبر هاتفه فى اهتمام :

- من المتحدث ؟!

أتاه صوت (جولدمان) ، وهو يتحدث بصدى واضح ، يوحى بأنه داخل مكان ضيق مغلق ، هاتفًا :

- سيادة المدير .. أنا (جولدمان) .. (مانير جولدمان) .. النجدة يا سيادة المدير .. النجدة .

صاح به المدير فى انفعال :

- ماذا يحدث عندك يا (جولدمان) ؟!

أجابه الرجل ، فى عصبية بالغة :

- (أدهم صبرى) هنا .. ينتحل شخصيتى ، ويرتدى حلتى .. لقد فاجأنى هذه المرة أيضًا ، ومعه ذلك الجاسوس الفلسطينى ، الذى تصورنا أنه قد لقى مصرعه .. لقد سجنانى داخل حقيبة سيارة ، فى

الشارع الثالث ، بعد الموقع (زد ـ واى) ، ولكنهما لم ينتبها إلى جهاز الاتصال الاحتياطى فى كعب حذائى .. أسرعوا يا سيدى .. أسرعوا بالله عليكم .

هتف به المدير فى توتر :

- كيف أثق بأنك (جولدمان) الحقيقى ؟!

صاح (جولدمان) :

- ستجدوننى داخل حقيبة سيارة مرسيدس سوداء ، فى العنوان الذى أخبرتك به ، ويمكنكم عندئذ فحصى جيدًا .. المهم أن تسرعوا يا سيادة المدير .. كل دقيقة لها ثمنها الآن .

هتف به المدير فى اقتضاب :

- اطمئن .

ثم أنهى المحادثة ، ورفع عينيه إلى رئيس الوزراء ، قائلًا فى انفعال :

- يبدو أن الشمس لن تشرق ، قبل أن نستعيد سيطرتنا على الأمور ، يا سيادة رئيس الوزراء .

وانعقد حاجباه فى حزم وصرامة شديدين ، وهو يضيف :

- كل الأمور .

ولم يستطع رئيس الوزراء ، مع كل هذا الانفعال ، أن يعلق بعبارة واحدة ..

لم يستطع أبدًا ..

★ ★ ★

لم تكد مسدسات رجال (الموساد) الثلاثة ترتفع ، في وجه (أدهم) ، حتى اقتحم (أديب) المكان ، وهو يضرب الباب في عنف ، مطلقًا صرخة قتالية قوية ، ودار حول نفسه على نحو مدهش ، وهو يطلق النار نحوهم ..

ودوت الرصاصات في الموقع السرى (زد ـ واى) ، ذى الجدران العازلة للصوت ..

وتفجرت الدماء من صدر (ويلى) ، وجسده يندفع إلى الخلف في عنف ، ليرتطم بالجدار كالقنبلة ، قبل أن يسقط جثة هامدة ، وسيجارته المشتعلة ما زالت بين شفتيه ، في نفس اللحظة التي دارت فيها فوهة مدفع (أديب) ، وانطلقت معها رصاصاته لتطيح بمسدس (فورد) ، و(أدهم) يصرخ في غضب صارم :

ـ قلت لا قتل أو دماء .

ولكن (روبرت) أدار مسدسه نحو (أديب) ، وضغط الزناد ..

وفى مهارة مدهشة .. وكليث شاب ، وثب (أديب) متفاديًا الرصاصة ، التي تجاوزته بثلاثة سنتيمترات فحسب ، ليهوى على فك (روبرت) بكعب مسدسه ، صائحًا :

ـ إننى اختلف معك في المبدأ .

ثم انحنى متفاديًا لكمة ، وجهها له (فورد) ، متابعًا :

ـ لأن هؤلاء الأوغاد دمويون بغريزتهم .

واعتدل بحركة سريعة ، ليضرب (فورد) بمدفعه ضربة كالقنبلة ، ارتطمت معها ماسورة المدفع بفكه ، ودفعته إلى الخلف في عنف ، فارتطم بالجدار ، وارتد عنه ككرة من المطاط ، فاستقبله (أديب) بضربة أخرى بكعب مدفعه ، مكملاً :

ـ ولكن لا بأس .

سقط (فورد) عند قدميه فاقد الوعى ، وهو يتم عبارته في حزم :

ـ سأستثنى هذه المرة .

فى نفس اللحظات ، التى دار فيها هذا الصراع ، كان الضخم يطلق صرخة غضب هائلة ، وينقض على (أدهم) فى شراسة وحشية ، ولكن (أدهم) استقبله بحركة رشيقة للغاية ، تفادت اللكمة القوية ، التى انطلقت من قبضة الضخم ، ثم هوى على فكه بلكمة أكثر قوة ، هاتفا :

قلت ليس لدينا وقت .

كانت اللكمة الثانية أكثر قوة وعنفا ، حتى إنها أطاحت بالرجل على نحو عجيب ، كما لو كان مجرد دمية اسفنجية(*) ، وضربته بالجدار فى عنف ، وقبل أن يرتد عنه ، كان (أدهم) يقفز فى الهواء ، ويدور حول نفسه ، ثم يهوى على فكه بلكمة عنيفة ، أسقطته فاقد الوعى ..

(*) الاسفنج : شعبة حيوانية واسعة الانتشار فى البحار ، ويوجد منها حوالى ألفين وخمسمائة نوع . ومنها فصيلة واحدة تعيش فى المياه العذبة . وتوجد عادة فى جماعات مثبتة على الصخور . لها هيكل داخلى . يتركب فى بعضها من شويكات كلسية ، وفى البعض الاخر من مادة الاسفنجين . الذى له قيمة عالية فى التنظيف . وأجود أنواع الاسفنج التجارى توجد فى البحر الأبيض المتوسط . وتعتبر من أركان الثروة المائية المصرية .

وقبل حتى أن يرتطم جسد الرجل بالأرض ، كان (أدهم) يلتفت لفحص (راشيل) فى اهتمام قلق ، فأسرع إليه (أديب) ، متسائلا :

- أما زالت على قيد الحياة ؟!

أومأ (أدهم) برأسه إيجابا ، وقال :

- ولكن حالتها سيئة للغاية .. هؤلاء الأوغاد عاملوها بقسوة بالغة .

مط (أديب) شفتيه ، قائلا :

- وكنت تعترض على قتلهم ..

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

- إننى لا أميل إلى إراقة الدماء .

هتف (أديب) فى دهشة :

- عجبا ! ولكنك عاصرت حرب أكتوبر ، وكنت خلالها مقاتلا شرسا .

قال (أدهم) بنفس الصرامة ، وهو يحل قيود (راشيل) :

- الحرب شىء آخر

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف :

- شىء بشع .

ثم حمل (راشيل) الفاقدة الوعى ، مستطردًا فى حزم :

ـ ولكننا سنناقش هذا فيما بعد .. المهم الآن أن نبتعد عن هنا بأقصى سرعة ، قبل أن تصل الامدادات .

وابتسم فى سخرية ، وهما يندفعان خارج المكان ، مكملاً :

ـ فلا ريب فى أن (جولدمان) قد استخدم جهاز الاتصال السرى ، فى كعب حذائه الآن .

قهقه (أديب) ضاحكًا ، وهو يقول :

ـ وسيتصوَّر أننا لم ننتبه لوجوده .

كانا يتحركان فى سرعة ، عبر الشوارع الخالية ، التى شفت فى وضوح عن خطأ استهلاك كل طاقة الجنود ، فى عمليات تفتيش قوية مركزة ومكثفة ، خلال وقت قصير للغاية ، إذ إنه بعد عمليات التمشيط العنيفة ، التى استغرقت اليوم بأكمله ، حدث تراخ واضح فى الناحية الأمنية ، فى طرقات (تل أبيب) ، كما لو أن كل جندى فى (إسرائيل) لم يعد قادرًا على الوقوف على قدميه ، أو أن خطة التأمين المعروفة باسم القفص ، قد اضطرت المسئولين إلى تكثيف

التواجد الأمنى ، عند كل منافذ (إسرائيل) ، البرية والبحرية والجوية ، على نحو لم يتبق معه ما يكفى لتأمين شوارع المدينة نفسها ..

أو هو مزيج من هذا و ذاك ..

على الأرجح ..

المهم أنه عند ناصية قريبة ، كانت هناك سيارة فى انتظار (أدهم) و(أديب) و(راشيل) ، التى ما زالت فاقدة الوعى ، وكان بداخلها الحاج (فادى) ، الذى هتف فى انفعال :

ـ لماذا تأخَّرتما ؟!

أشار (أدهم) إلى ساعته ، قائلاً :

ـ اطمئن يا حاج .. مازلنا نتبع الجدول المرسوم .

قالها ، ثم أرقد (راشيل) على المقعد الخلفى فى حرص ، قبل أن يعتدل ، ويسأل (أديب) فى اهتمام بالغ :

ـ ألنت واثق من قدرتك على أداء المهمة ؟!

ابتسم (أديب) ، قائلاً :

ـ اطمئن يا سيادة العميد .. مهما فعل هؤلاء الإسرائيليون ، ومهما تصوَّروا أنهم يحكمون قبضتهم

على وطننا ، فما زالت لدينا وسائلنا ودروبنا ، التى يجهلون عنها كل شىء .

تطلع إليه الحاج (فادى) فى فخر ، وهو يقول :

ـ هل تعلم يا سيد (أدهم) .. ربما تتصور أن انكشاف أمر (أديب) قد أساء إليه كثيرا ، كما يظن الإسرائيليون ، ولكن سيدهشك أن هذا قد صنع منه بطلا شعبيًا ، حتى إنه خلال الساعات القليلة الماضية ، التف حوله مئات من المتحمسين ، والرافضين للوجود الإسرائيلى ، وأصبح هناك ضعفهم ممن يتمنون مساعدته ، فى كل ما يأمرهم به .

والتقط (أديب) نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

ـ صدقنى يا سيادة العميد .. إننى أشعر بالانتعاش ، وبأننى حر لأول مرة ، فى أن أعبر عن مشاعرى الحقيقية بكل وضوح .

تأوهت (راشيل) فى تلك اللحظة ، ورفعت يدها تتحسس كدمات وجهها فى ألم ، فقال (أدهم) فى حزم :

ـ لا ينبغى أن نضيع لحظة أخرى .

وفى نفس اللحظة التى ألقت فيها الشمس أول

خيوط الضوء على (تل أبيب) ، كان الجميع قد اختفوا من المكان ..

اختفوا تمامًا ، وكأن الأرض قد ابتلعتهم ..

الأرض الفلسطينية ..

★ ★ ★

حطم أحد رجال (الموساد) قفل حقيبة المرسيدس فى عنف ، ثم فتحها فى سرعة ، وامتدت عدة أياد تساعد (جولدمان) على الخروج منها ، وهو يرتدى نفس المعطف ، الذى كان يرتديه (أدهم) ، عندما تنكر فى هيئة مدير (الموساد) ..

ولم يكد (جولدمان) يضع قدميه على الأرض ، حتى هتف فى انفعال :

ـ هل لحقتم به ؟!

أجابه مدير (الموساد) فى عصبية :

ـ لم يعثر له رجالنا على أدنى أثر .. لقد قتل (ويلى) ، وضرب الآخرين فى عنف ، واختفى مع (راشيل فريمان) .

امتقع وجه (جولدمان) فى شدة ، وهو يقول :

ـ يا للشيطان ! اختفى معها .



حطَّم أحد رجال (الموساد) قفل حقيبة المرسيدس فى عنف ، ثم فتحها فى سرعة ..

صاح مدير (الموساد) ، وهو يلوِّح بسبَّابته فى وجهه :

- إنه أسوأ فشل صادفنا ، فى تاريخنا كله يا (جولدمان) .. أسوأ فشل على الاطلاق .. وأسوأ ما فيه هو أنه لم يحدث فى مضمار محايد ، أو على أرض عربية ، بل حدث هنا يا (جولدمان) .. لقد تلقينا أقوى صفعة فى تاريخ (الموساد) ، ونحن على أرض (إسرائيل) يا (جولدمان) ... على أرضنا .

غمغم (جولدمان) فى عصبية :

- لقد بذلنا قصارى جهدنا .

صاح المدير فى غضب :

- وهذا يجعل الموقف أكثر سوءًا .

لوَّح (جولدمان) بذراعيه كلهما ، وهو يهتف :

- وماذا كان بيدنا أن نفعله ؟! لقد استغل ذلك الشيطان موهبة فريدة ، لم يضاهه فيها أحد ، عبر التاريخ كله ؛ فهو يتقمَّص أية شخصية تحلو له بدقة مذهلة ، كما لو أنه يتحوَّل إلى نسخة طبق الأصل منها .. لقد شاهدنا وصنعنا مئات الأقنعة التنكرية ، ولكننا لم نر قط .. أقنعة بهذا الإتقان ، الذى يصنعها به .. إنك تحدِّق فى وجهه ، وترهف السمع لصوته ،

وتراقبه بمنتهى الدقة والإمعان ، فلا تقع منه على خطإ واحد ، يمكن أن يكشف هويته الحقيقية .. إنه يتكلم ويتحرك ، ويتصرف ، كما لو كانت روح من ينتحل شخصيته قد حلت فى جسده .. كيف يمكنك أن تحارب شيطانا كهذا ؟!

أجابه المدير فى حدة :

- بأن تبحث عن وسيلة للتصدى له ، ولكشف أمره ، مهما بلغت دقة تنكره ، وبأن تتفادى فى المستقبل كل ما تقع فيه من أخطاء الآن .

ثم استطرد فى عصبية :

- وبألا نقف لنتحدث هنا ، ونتركه يسبقنا بخطوات أكثر وأكثر .

تألقت عينا (جولدمان) فجأة ، وهو يمسك ذراع مديره ، هاتفا :

- إنه لن يذهب بعيدًا .

سأله المدير فى دهشة :

- ألديك شىء ما ؟!

أجابه (جولدمان) فى انفعال :

- بالتأكيد ، فلكل جواد كبوة ، وما من أحد كامل يا سيدى .. ولقد بلغت الثقة بذلك المصرى حدا ،

تصور معه أن الأمور ستسير وفقا لما خططته المخابرات المصرية ودبرته ، دون أى خطأ ، حتى إنه ، دون أن يدرى ، كشف لى وسيلة فراره وتلك الجاسوسة من هنا .

سأله المدير فى لهفة :

- كيف يا (جولدمان) ؟! كيف ؟!

أجابه (جولدمان) فى حماسة :

- غواصة .. غواصة مصرية .

هتف المدير :

- غواصة مصرية ؟! يا للشيطان ! إنها فكرة منطقية للغاية ، فحتى مع تشديد الحراسة على كل المنافذ البحرية ، يمكنهما أن يستقلا زورقا آليا ، مع محرك مزود بكاتم للصوت ، وينطلقان إلى عرض البحر ، ومن هناك تلتقطهما تلك الغواصة .

هتف (جولدمان) :

- ولكننا لن نسمح لهم بهذا .. لن نسمح لهم أبدا يا سيادة المدير .. أليس كذلك ؟!

انعقد حاجبا المدير فى حزم ، وهو يقول :

- كلا بالتأكيد .. لن نسمح لهم .

ثم التقط جهاز الاتصال اللاسلكى من جيبه ، وهو يسأله :

- هل أخبرك متى سيحدث هذا ؟!

أشار (جولدمان) إلى السماء ، مجيبًا فى حماسة :

- مع شروق الشمس .

هتف المدير :

- لم يعد أمامنا الكثير من الوقت إذن .

وعبر جهاز الاتصال اللاسلكى ، قال بلهجة آمرة :

- هنا (شلومون) .. أريد طائرة هليوكوبتر حربية عند الميناء ، بعد عشر دقائق من الآن .. أبلغوا الدوريات البحرية باعتراض أى زورق بخارى يتمَّ رصده ، وإطلاق النار عليه مباشرة ، عند أدنى مقاومة ، واطلبوا من القوات البحرية والجوية تمشيط المياه الإقليمية لنا(*) ، ورصد أى تواجد لأجنبى داخلها ، أو على مقربة منها ، وإبلاغى بالموقف

(*) المياه الإقليمية : يطلق عليها القانون الدولى العام اسم (البحر الإقليمى) ، أى الجزء من البحر المجاور لإقليم الدولة ، والذى تمتدّ إليه سيادتها ، ولا يختلف فى وضعه القانونى عن أى جزء آخر من إقليم الدولة ، ولكن يسمح بحق المرور البرىء للسفن الأجنبية ، وهو المرور الذى لا يضرّ بسلامة وأمن وأنظمة الدولة ، وهناك خلاف حول تحديد مدى المياه الإقليمية ، ما بين ثلاثة واثنى عشر ميلاً بحريًا وبالنسبة لـ (مصر) ، فهو اثنا عشر ميلاً بحريًا .

أوَّلاً فأوَّل ، واتصلوا بالمسئول الليلى عن القوات الجوية ، ليضع ثلاث طائرات (ف - ٢٠) على أهبة الاستعداد ، لو احتاج الأمر لتدخلها ، فى أية لحظة .. نفذوا هذه الأوامر فوراً ، ودون إضاعة لحظة واحدة .

ثم أنهى الاتصال ، وهو يتطلع إلى الشمس فى الأفق ، وقد برز طرفها العلوى ، وقال فى صرامة :

- سنرى الآن كيف سيخرج (أدهم) من القفص .. القفص الإسرائيلى .

فى نفس الحظة ، التى نطق فيها عبارته ، ودون إضاعة لحظة واحدة بالفعل ، كانت القوات البحرية وطائراتها قد انطلقت لتنفيذ الأوامر ..

أوامر المطاردة الجديدة ..

والأخيرة .





٨ - وأشرقت الشمس ..

انسابت الدموع من عينى (منى) فى صمت ، وهى تجلس إلى جوار نافذة حجرتها بالمستشفى ، وقد انساب فى عقلها شريط من الذكريات ، فى نعومة عجيبة ، حاملاً كله صورة واحدة ، ملأت كيانها ووجدانها كله ..

صورة (أدهم) ..

كانت تسترجع لمحات من تاريخهما معًا ، وهى تتساءل : تُرى كيف هو الآن ؟!

كيف يواجه مخاطر الدنيا فى (إسرائيل) ؟!

صحيح أن أحدًا لم يبلغها رسميًا بذهابه إلى هناك ..

ولكنها واثقة من أنه قد فعل ..

ليس لديها أدنى شك فى هذا ..

إنها تعرفه ، أكثر من أى شخص آخر فى الدنيا ..

أو هكذا تتصوَّر ..

وهى تعلم أنه لن يهدأ ، قبل أن يستعيد (قدرى) ..

بعد أن يعيده إلى وطنه سالمًا ..

حتى ولو ضحَّى فى سبيل هذا بحياته كلها ...

وهذا ما تخشاه ...

بل ما ترتجف هلعًا منه ، حتى النخاع ..

إنه سيذهب إلى (إسرائيل) حتمًا ..

وسيواجه كل عمالقة (الموساد) هناك ..

وسيكون الصراع عنيفًا ..

قاسيًا ..

رهيبًا ..

وكل ما تأمله أن ينجح فى نهايته ، فى العودة إلى (مصر) ..

وإليها ..

وإلى الـ ..

توقفت أفكارها بغتة ، مع طرقات متردِّدة على باب حجرتها ، فأسرعت تمسح دموعها ، وهى تلتفت إلى الباب ، قائلة فى توتر :

- من بالباب ؟!

أتاها صوت (جيهان) ، وهى تقول :

- هل تسمحين لى بالدخول ؟!

أدهشها أن تأتى (جيهان) لزيارتها فى حجرتها ،

فى هذا الوقت المبكر ، وقبل ساعة كاملة تقريبًا من شروق الشمس(*) ، ولكنها ، وعلى الرغم من هذا هتفت فى حرارة :

- بالطبع يا (جيهان) .. تفضلى .

وتضاعفت دهشتها ، عندما رأت (جيهان) تدلف إلى حجرتها ، على مقعدها المتحرك ، وقد ارتدت كامل ثيابها ، واتمت زينتها ، فتساءلت فى حيرة :

- إلى أين ؟!

حاولت (جيهان) أن تبتسم ، وهى تجيب :

- طائرتى ستقلع إلى (نيويورك) فى الثامنة ، والمفترض أن أصل إلى المطار فى السادسة .

قالت (منى) فى دهشة :

- بهذه السرعة ؟! يا للمفاجأة ! كنت أتصور أن أمامك بعض الوقت ..

ابتسمت (جيهان) بشىء من الحرج ، وهى تقول :

- الواقع أننى أعلم منذ البداية .

سألتها (منى) فى دهشة :

(*) طبقًا لخطوط الطول ، وفروق التوقيت الجغرافية الرسمية ، تسبقنا (إسرائيل) بحوالى ساعة واحدة تقريبًا .

- ولماذا أخفيت الأمر عنى ؟!

بدا عليها الحرج أكثر ، وهى تقول بابتسامة مرتبكة :

- عادة نسائية مصرية قديمة ، لم أتخلص منها بعد .

ثم لوحت بيدها ، وكأنها تلقى حرجها خلف ظهرها ، قبل أن تستطرد :

- المهم أننى أردت أن أقضى معك بعض الوقت ، قبل أن أرحل .

ابتسمت (منى) ابتسامة باهتة ، وهى تقول :

- على الرحب والسعة .

اقتربت (جيهان) بمقعدها منها ، وألقت نظرة مثلها عبر النافذة ، قبل أن تقول فى مرح مصطنع :

- هل تعلمين ؟! عندما نلتقى فى المرة القادمة ، ربما أكون واقفة على قدمىَّ .

أشارت إليها (منى) ، قائلة بابتسامة كبيرة :

- فى المرة القادمة ، لن نلتقى فى أى مستشفى ، ولا حتى على بعد كيلومترين من أى مستشفى .

هتفت (جيهان) فى حماسة :

- وسيكون معنا (أدهم) .

ارتبكت (منى) ، وهى تغمغم :

- بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

تطلعت إليها (جيهان) طويلا فى صمت ، قبل أن تميل نحوها ، قائلة :

- أنت تعلمين أننى مثلك .

غمغمت (منى) فى توتر :

- مثلى ؟!

أجابتها فى هدوء :

- نعم .. مثلك .. أحب (أدهم) .

أشاحت (منى) بوجهها ، قائلة فى عصبية :

- لقد ناقشنا هذا الأمر من قبل .

أومأت (جيهان) برأسها إيجابا ، وقالت بنفس الهدوء :

- هذا صحيح ، ولكننا كنا نناقشه كل مرة بعناد وتحد .

ثم ارتسمت على شفتيها ابتسامة حانية ، وهى تضيف :

- أما الآن ، فسنناقشه بعقل .

شئ ما فى حنان صوتها ودفئه ، جعل (منى) تلتفت إليها بدهشة ، متمتمة :

- بعقل ؟!

أومأت (جيهان) برأسها إيجابًا مرة أخرى ، وحافظت على ابتسامتها الهادئة الحانية ، وهى تقول :

- هل تعلمين يا (منى) .. فى اللحظات التى يستعد فيها المرء لمواجهة منحنى ضخم فى حياته ، تتغير رؤيته للأمور تمامًا ، ويتغيّر معها أسلوبه فى التفكير والتعامل أيضًا .

غمغمت (منى) ، وقلبها يخفق فى عنف :

- ماذا تعنين ؟!

اتسعت ابتسامة (جيهان) ، وهى تجيب :

- أعنى أننى ما زلت أحب (أدهم) ، وسأظلّ أحبه طيلة عمرى .. بل وربّما يتضاعف حبى له ، بعد موقفه النبيل هذا .

عضت (منى) شفتيها فى مرارة ، فربّتت (جيهان) على كتفها ، مكملة :

- ولكن هذا لا يعنى شيئًا .

ثم مالت نحوها ، مضيفة :

- لأنه يحبك أنت .

رفعت (منى) عينيها إليها فى دهشة ، ورأت الدموع التى تجمَّعت فى عينيها ، وهى تكرر فى حزم حزين :

- نعم يا (منى) .. يحبك أنت .. أنت وحدك .. ولا سبيل فى الكون كله لإنكار هذا أو تجاهله .

ثم ارتفع حاجباها فى تأثر ، وسالت دموعها على وجنتيها ، وهى تكمل :

- هل تعلمين ما الذى ينقصك يا (منى) ؟!

لم تدر (منى) أن دموعها قد انسابت على وجهها بدورها ، وهى تسألها بصوت مرتجف :

- ماذا ؟!

مالت نحوها أكثر ، مجيبة :

- الثقة .

انسابت دموع (منى) بغزارة أكبر ، وهى تتطلع إليها فى صمت ، فتابعت :

- الثقة بأن (أدهم) يحبك .. يحبك بجنون ، ولن يحب سواك قط ، حتى ولو غادرت هذه الحياة كلها .. إنه يحبك يا (منى) ، ولكن الجنون عنده يختلف

عن الجنون عندنا .. فحتى فى جنونه يظلّ عاقلاً رصينًا ، لا يصرخ أو ينفعل مثلنا .. ولكن المهم أنه يحبك .

ابتسمت (منى) ، وقد أغرقت دموعها ووجهها ، فاتسعت ابتسامة (جيهان) أكثر وهى تقول :

- ثقى بأنه يحبك .. هذا ما أتيت لأخبرك به ، قبل أن أرحل .

ثم التقت عيونهما ودموعهما ، وهى تمدّ يدها لمصافحة (منى) ، قائلة :

- إلى اللقاء يا (منى) .. ادع الله أن نلتقى فى المرة القادمة كما أردت .

وابتسمت من وسط دموعها ، مستطردة .

- بعيدًا عن المستشفيات .

تصافحتا فى حرارة ، ثم لوّحت (جيهان) بيدها ، ودفعت مقعدها بابتسامة كبيرة ، حتى اختفت خارج الحجرة ، فغمغمت (منى) :

- سنلتقى مرة أخرى ، خارج كل المستشفيات يا (جيهان) .. سنلتقى بخير بإذن الله (سبحانه وتعالى) .

ثم انخفض صوتها ، وعادت دموعها تسيل فى غزارة ، وهى تضيف :

ـ ولا يمكنك أن تتصورى كم أتمنى أن يكون (أدهم) معنا عندئذ .. لن يمكنك أن تتصورى أبدًا أن .. أن ...

ولم تستطع إكمال عبارتها ..

ففى غزارة غير مسبوقة ، تدفقت دموعها من عينيها ..

وتدفقت معها ذكرياتها معه ..

كل ذكرياتها ..

★ ★ ★

« تم رصد غوّاصة أجنبية ، خارج المياه الإقليمية .. »

استقبل جهاز الاتصال اللاسلكى ، فى الهليوكوبتر العربية هذه الرسالة ، وهى تحلق فوق البحر الأحمر ، وبداخلها مدير (الموساد) و(جولدمان) ، والأخير يهتف فى حرارة وانفعال :

ـ ها هى ذى .

انعقد حاجبا مدير (الموساد) ، وهو يقول :

ـ عجبًا !! المصريون تغيّروا كثيرًا فى الآونة الأخيرة .

قال (جولدمان) فى حقد :

ـ نعم .. صاروا أكثر تطورًا .

هزّ مدير (الموساد) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ بل صاروا أكثر تهورًا .

غمغم (جولدمان) ، وقد خيّل إليه أنه لم يفهم الكلمة جيدًا :

ـ تهورًا ؟!

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وهو يضع منظاره المقرّب على عينيه ، ويتطلع إلى البحر ، قائلاً :

ـ نعم .. صاروا أكثر تهورًا ؛ فقدومهم إلى هنا بغوّاصة حربية ، ليس بالأمر السهل أو البسيط .. صحيح أن قواتهم البحرية تتفوّق علينا كثيرًا(*) ، ولكن هذا لا يعنى أن يقتربوا منا إلى هذا الحد ، وبعد شروق الشمس أيضًا .

قال (جولدمان) :

ـ وربما تصوّروا أن هذا لن يخطر ببالنا قط ..

(*) كل التقارير العسكرية الحديثة والمحايدة ، تشير إلى أن القوات البحرية المصرية تتفوق كثيرًا ، فى الكم والكيف ، وفى قدرات الرجال القتالية ، على القوات البحرية الإسرائيلية ، وأن هذا التفوق سيستمر حتى بداية القرن الحادى والعشرين على الأقل .

تمامًا مثلما حدث فى حرب أكتوبر ، عندما باغتونا بالهجوم فى الثانية ظهرًا ، وعبروا قناة (السويس) ، وحطموا خط (بارليف) فى وضح النهار ، و ...

قاطعه المدير فى غضب :

ـ كفى يا (جولدمان) .. لست مضطرًا للتغزّل فيما فعلوه بنا ، فى حرب أكتوبر هذه ، لتثبيت وجهة نظرك .

ثم لوّح بيده ، مستطردًا فى توتر :

ـ ثم إن هذا لا يفسّر تهورهم الشديد هذه المرة .

هزّ (جولدمان) كتفيه ، قائلاً :

ـ غوّاصتهم ما زالت خارج مياهنا الإقليمية .

قال المدير :

ـ والعجيب أنه لا أثر لأية زوارق بخارية .

انعقد حاجبا (جولدمان) ، وهو يقول :

ـ ربما لم يستخدما زورقًا آليًّا .. هناك وسائل عديدة هذه الأيام ، منها الغوّاصات الصغيرة ، والدراجات الآلية تحت المائية(*) ، وغيرها ..

(*) الدراجات الآلية تحت المائية : وسائل حديثة ، يستخدمها رجال الضفادع البشرية ، للانطلاق بسرعات كبيرة تحت الماء ، وهى أشبه بالطوربيدات القديمة ، مع مقعد ودفة وجهاز توجيه ، بحيث يمتطيها الضفدع البشرى ، وينطلق بها تحت الماء .

قال المدير فى عصبية :

ـ هذه الأشياء لا يمكن رصدها .

أشار (جولدمان) بيده ، قائلاً فى حزم :

ـ بالضبط .

رفع المدير منظاره المقرّب عن عينيه ، وهو يلتفت إليه ، قائلاً فى توتر :

ـ هذا يعنى أنهما يستطيعان بلوغ الغوّاصة ، قبل أن نفعل شيئًا .

قال (جولدمان) ، وهو يميل نحوه ، ويبتسم ابتسامة خبيثة :

ـ هذا لو ظلّت الغوّاصة فى موضعها .

تطلع المدير إلى عينيه مباشرة ، وقرأ عبرهما ما يدور فى عقله ، قبل أن يغمغم فى توتر بالغ :

ـ الغوّاصة خارج مياهنا الإقليمية .

هزّ (جولدمان) كتفيه ، قائلاً فى مكر :

ـ وهل يمكنهم إثبات هذا ؟!

انعقد حاجبا المدير أكثر ، والهليوكوبتر تنطلق به و(جولدمان) فوق البحر ، ثم لم يلبث أن التقط بوق جهاز الاتصال اللاسلكى ، وسأل قائد سرب المقاتلات (ف ـ ٢٠) ، فى اهتمام بالغ :

- كم تبعد تلك الغوّاصة عن مياهنا الإقليمية ؟!

أتاه الجواب فى سرعة :

- حوالى ميل بحرى واحد .

سأله المدير :

- هل يمكنك تحديد هويتها ؟!

أتاه الجواب بنفس السرعة :

- كلاّ .. إنها لم تصعد إلى السطح بعد .. إننا نرصد ظلها ، على عمق ثلاثمائة متر ، تحت سطح البحر .

صمت المدير بضع لحظات ، فقال (جولدمان) :

- إنها الغوّاصة المصرية .

رمقه المدير بنظرة جانبية ، ثم أبدل موجة الإرسال ، وقال :

- من (شلومون) إلى (زافير) .. هل توجد أية بيانات عن غوّاصات صديقة ، بالقرب من حدودنا الإقليمية ؟!

أجابه مندوب القوات البحرية ، بعد برهة من الانتظار :

- كلاّ .. ليست لدينا بيانات عن أية غواصات صديقة ، فى المنطقة كلها .

تنهد مدير المخابرات فى ارتياح ، قائلا :

- عظيم

ثم عاد إلى موجة الإرسال الأولى ، قائلا بلهجة آمرة حازمة :

- انسفوا تلك الغوّاصة .

تألقت عينا (جولدمان) فى ظفر ، عندما قال قائد سرب الـ (ف - ٢٠) :

- علم وسينفذ .

نطق قائد السرب الكلمة ، ثم مال بطائرته ، فتبعه رجلاه بطائرتيهما ، وانطلق الثلاثة نحو الغوّاصة ، المختفية تحت الماء ، وقال قائد السرب ، وهم ينقضون عليها :

- سيطلق كل منا صاروخا واحدا ، على ثلاث مستويات ، لتفادى الانكسار (*) .. استعد .

كشف ثلاثتهم زر إطلاق الصواريخ ، فى عصا الإطلاق ، ثم هتف قائد السرب فى حزم :

- الآن .

(*) يؤدى انكسار الصورة فى الماء ، إلى الخطأ فى تحديد موضع الهدف ، بنسبة ترتبط بعمق الهدف وحجمه

وضغط الثلاثة أزرار الإطلاق فى آن واحد ..
وانطلقت الصواريخ ..
على ثلاثة مستويات ..
وبمنتهى العنف ، دوى الانفجار ..
انفجار تطايرت معه أعمدة هائلة من المياه ، امتزجت بنيران ودخان ، رآهما (جولدمان) ومديره من بعيد ، فمال الأخير يربت على كتف قائد الهليوكوبتر فى انفعال ، قائلاً :
ـ أسرع بنا يا رجل .. دعنا نشاهد الموقف عن قرب .
زاد الطيّار من سرعة الهليوكوبتر ، وهو ينطلق بها إلى موضع الانفجار مباشرة ، فى نفس اللحظة التى انبعث فيها صوت قائد السرب ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى ، وهو يقول :
ـ تمت إصابة الهدف بنجاح .
هتف به المدير :
ـ لقد دمرتموه تمامًا .. أليس كذلك ؟
انعقد حاجباه وحاجبا (جولدمان) فى شدة ، عندما أتاهما صوت الرجل متوترًا عصبيًا ، وهو يجيب :

ـ بلى .. ولكن ..
صاح المدير فى حدة :
ـ ولكن ماذا ؟!
تردَّد الرجل لحظة ، قبل أن يندفع قائلاً :
ـ إنها ليست غوّاصة .
صرخ (جولدمان) هذه المرة .
ـ ليست ماذا ؟!
فى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها صرختَه ، كانت الهليوكوبتر قد بلغت موضع الانفجار بالفعل ..
وبكل غضب الدنيا ، هتف المدير :
ـ اللعنة ! اللعنة !
فذلك الشىء ، الذى بدا من بعيد أشبه بالغوّاصة ، والذى أصابته قذائف الطائرات (ف ـ ٢٠) ، لم يكن سوى مجموعة من الصناديق المعدنية الفارغة ..
صناديق تم إيصالها ببعضها ، بوساطة أسلاك سميكة ، وترتيبها بدقة ، بحيث تبدو تحت الماء أشبه بالغوّاصة ، بعد جذبها إلى القاع بهلب ضخم ..
وبمرارة لا حدود لها ، تراجع (جولدمان) فى مقعده ، مغمغمًا :

- لقد كان على حق .. (أدهم صبرى) كان على حق .. إنهم يقودوننا كالنعاج إلى أهدافهم طوال الوقت .

ومع امتقاع وجهه ، وتلك الغصة المؤلمة فى حلقه ، لم يستطع مدير (الموساد) النطق بحرف واحد ..

لقد انطلق عقله يتخيل عودته إلى (تل أبيب) ، ولقاءه برئيس الوزراء ، المتحفز لسلخه ورجاله أحياء ..

وفى كيانه كله ، انطلق سؤال حائر غاضب ..

ما دام (أدهم) لم يفر عبر البحر ، فأين هو إذن ؟!

- أين ؟!

- أين ؟!

★ ★ ★

خفق قلب (قدرى) فى قوة ، وهو يغادر طائرة شركة (العال) الإسرائيلية ، فى مطار (هيثرو) بـ (لندن) ، وتدفقت الدموع من عينيه غزيرة ، وهو يتمتم :

- حمدًا لله .. حمدًا لله .

ثم راح يتلفت حوله فى توتر ، بحثًا عن أى وجه يعرفه ، وقد بلغ تأثره مبلغه ..

وعلى مسافة بضعة أمتار منه ، همس رجل مفتول

العضلات ، عبر جهاز لاسلكى دقيق ، وهو يراقبه فى إمعان :

- الهدف وصل يا سيد (براندون) .

أتاه صوت خشن غليظ ، ويقول :

- أهو وحده .

انعقد حاجبا الرجل ، وهو يتابع شابًا وسيمًا ، اتجه نحو (قدرى) فى حماسة وصافحه فى حرارة ، قائلًا :

- مرحبًا يا سيد (قدرى) .. حمدًا لله على سلامتك .. لقد اتصل سيادة وزير الخارجية شخصيًا من (القاهرة) ، ليوصينا بك .

هتف (قدرى) مبهورًا ، وقد تضاعف تأثره :

- الوزير شخصيًا .

ناوله الشاب جواز سفر دبلوماسيًا أحمر ، يحمل شعار جمهورية (مصر) العربية ، وهو يبتسم ، قائلًا :

- الصور وصلتنا عبر شبكة (الانترنت) ، واستخدمنا طابعة خاصة لاستقبالها(*) .. إنه أسرع جواز سفر دبلوماسى فى التاريخ .

(*) توجد طابعات خاصة للصور الضوئية ، المنتجة أو المعدلة بوساطة الكمبيوتر ، وهى تستخدم أنواعًا خاصة من الورق ، ومن أحبار الطباعة ، لإنتاج صور شبيهة تمامًا بالصور الضوئية التقليدية .

ثم أشار إلى شابين قويين ، مستطردًا :

ـ هذان حارسان من حرّاس السفارة ، سيقومان بحمايتك ، حتى يتمّ إعداد الطائرة الخاصة ، التى ستحملك إلى (القاهرة) .

هتف (قدرى) :

ـ وطائرة خاصة أيضًا ؟!

هزّ الشاب كتفيه ، قائلاً :

ـ من الواضح أنك شخصية مهمة للغاية يا سيِّد (قدرى) ، فهناك طائرة ستقلع إلى (القاهرة) فى الثامنة مساءً ، ولكن المسئولين هناك رفضوا أن تنتظرها ، وأصرّوا على عودتك فورًا بطائرة خاصة ، على الرغم مما يتطلبه هذا من جهد ومال .

تنهد (قدرى) ، قائلاً :

ـ لا ريب فى أن لديهم أسبابهم .

وافقه الشاب بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .

ثم ربّت على كتفه فى حرارة ، مستطردًا :

ـ ألم أقل لك : إنك شخصية مهمة يا سيِّد (قدرى) ؟

رفع مفتول العضلات جهاز الاتصال الصغير إلى شفتيه ، فى هذه اللحظة ، وقال :

ـ لقد التقوا به ، وأحاطوه بحراستهم يا مستر (براندون) .

أجابه (براندون) فى صرامة :

ـ لم يتركوا لنا الخيار إذن .

ثم أضاف بلهجة آمرة قاسية :

ـ اقتله .

أجابه مفتول العضلات فى حزم :

ـ علِمَ .

وأنهى الاتصال اللاسلكى ، وأعاد الجهاز إلى جيبه ، ثم أخرج منه مسدسًا مزوّدًا بكاتم للصوت ، ألصقه بجانبه ، ليخفيه بسترته ، وهو يتجه نحو (قدرى) مباشرة ، وراح يقترب منه .

ويقترب ..

ويقترب ..

وعندما أصبح على مسافة متر واحد من (قدرى) ، رفع مسدسه المزوّد بكاتم الصوت فى سرعة ، و ...

وفجأة ، ارتطم به شخص قوى ، وأمسك معصمه بأصابع فولاذية ، ولواه بسرعة وعنف ، مما اضطره إلى إفلات مسدسه ، الذى التقطه الرجل فى خفة ، وهو يدفعه نحو دورة المياه ، قائلاً فى صرامة :

- الأمر ليس بهذه البساطة يا هذا .

استدار مفتول العضلات للدفاع عن نفسه ، وهو ينتزع معصمه من يد الآخر فى قوة ، ولكن ذلك الآخر تفادى لكمة فى براعة ، ومال جانبا ، ثم كال له لكمة كالقنبلة فى معدته ، قائلا :

- حاول ألا تنسى هويتك .

ولكمة أخرى فى فكه ، مستطردا :

- أنت مجرد قاتل محترف .

ثم هوى على أنفه بلكمة ساحقة ، مستطردا :

- ولست مقاتلا مدربا مثلنا .

ارتطم القاتل بجدار دورة المياه ، وأمكنه الحفاظ على وعيه وتوازنه بقدرة مدهشة ، على الرغم من اللكمات القوية ، وأنفه المحطم على نحو بشع ، وانتزع من حزامه خنجرا ماضيا ، وهو ينقض على خصمه ، صارخا فى وحشية ..

ومرة أخرى ، تفادى الرجل طعنته ، وأحاط ساعده بساعده ، ثم لواه فى قوة ، وهو يقبض على معصمه بيده الأخرى ، ويرفع ركبته لتغوص فى معدته ، هاتفا فى صرامة :

- ألم تستوعب الأمر بعد ؟!

شهق القاتل من عنف الضربة ، وجحظت عيناه عن آخرهما ، فضم خصمه قبضتيه ، وهوى بهما على مؤخرة عنقه ، ليسقطه فاقد الوعى ..

وفى هدوء ، عدل الرجل رباط عنقه ، ورفع أحد حاجبيه ، قائلا :

- لعلك فهمت ما كنت أعنيه الآن .

ثم غادر دورة المياه ، واتجه نحو (قدرى) مباشرة ، وصافحه ، قائلا بابتسامة كبيرة :

- مرحبا يا سيد (قدرى) .. أنا (شريف) .. من المخابرات العامة المصرية .. سأرافقك إلى (القاهرة) .

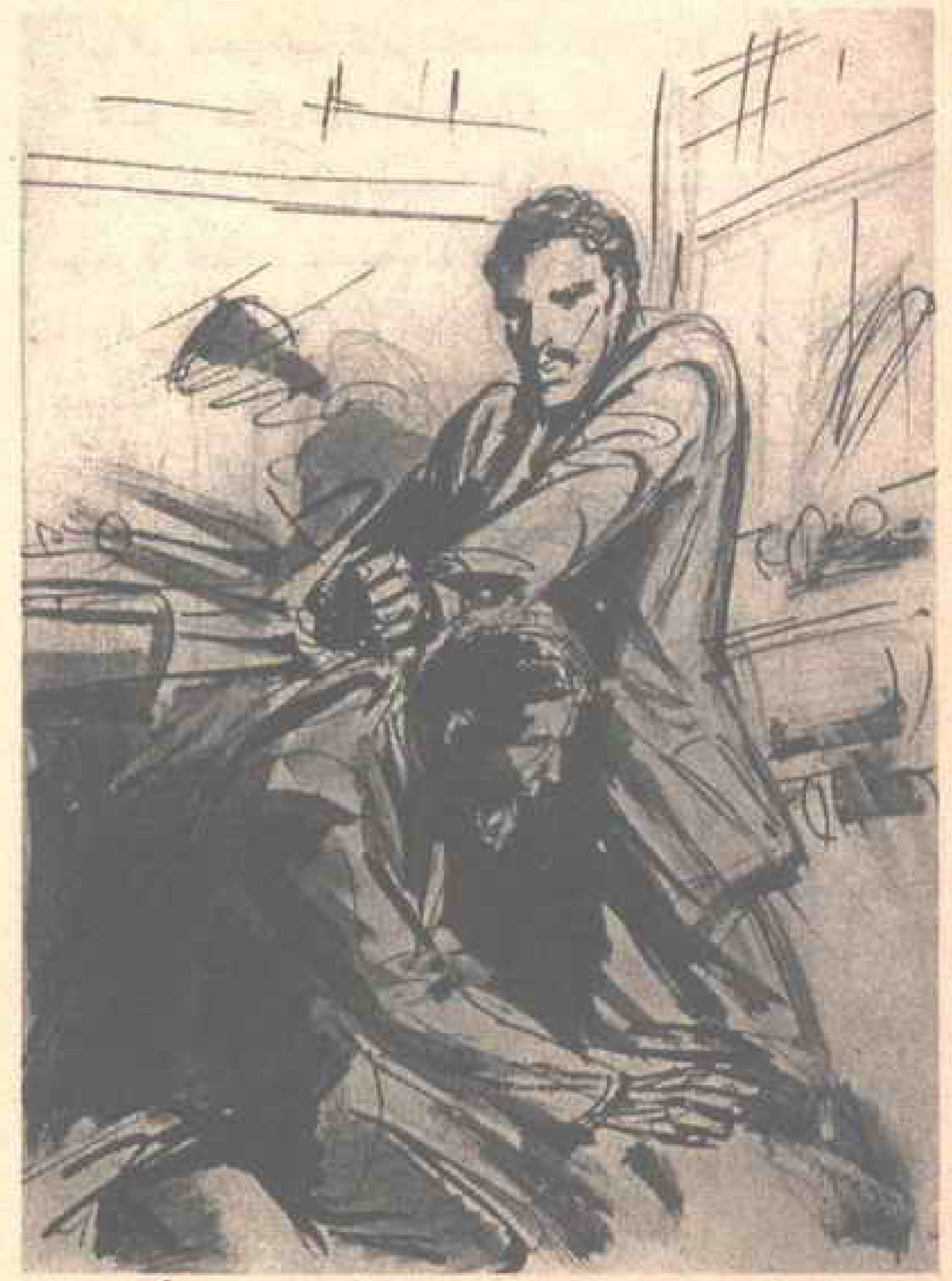
تهللت أسارير (قدرى) ، وهو يهتف :

- رائع .. هذا يعنى الشعور بالأمان طوال الوقت .

صافح (شريف) رجال السفارة ، ثم قاد (قدرى) إلى حيث تنتظرهما الطائرة الخاصة ، وهو يقول :

- اعذرنى لأننى لم أقدم نفسى من البداية يا سيد (قدرى) ، ولكننا كنا نعلم أن الإسرائيليين سيفعلون شيئا ما ، وكان لا بد أن نرصد تحركاتهم أولا .

ابتسم (قدرى) ، قائلا :



شهق القاتل من عنف الضربة ، وجحظت عيناه عن آخرهما ، فضمّ خصمه قبضتيه وهوى بهما على مؤخرة عنقه ..

ـ هل تخبرنى الآن ، بعد كل هذه السنوات ، أننا نفعل كل شىء بمنتهى الدقة .

ضحك رجل المخابرات ، مغمغمًا :

ـ آه .. نسيت أنك واحد منا يا سيِّد (قدرى) .

لم يتبادلا أيةَ أحاديث إضافيـة ، حتـى ضمتهما الطـائرة الخاصـة ، وعندئـذ التفـت (قـدرى) إلـى (شريف) ، وسأله فى لهفة :

ـ وماذا عن (أدهم) ؟! متى سيعود إلى (القاهرة) ؟!

وابتسم ضابط المخابرات ، دون أن يجيب سؤاله ، وكأنمـا يرفـض الإفصـاح عـن سـر بـالغ الخطـورة والأهمية ..

وكوسـيلة لمنـع تكـرار السـؤال ، أسـبل رجـل المخابرات جفنيه ، واسترخى فى مقعده ، والطائرة تنطلق بهما عائدة إلى الوطن ..

إلى (مصر) ..

★ ★ ★

داعبت أشعة الشمس الدافئة وجه (راشيل) ، وشعر جسدها برجرجة السيارة ، ففتحت عينيها فى صعوبة ، وتأوَّهت فى ألم ، وهى ترفع عينيها لحماية وجهها من الشمس ، مغمغمة :

ـ أين أنا ؟! ماذا يحدث ؟!

أتاها صوت (أديب) هادئا ، وهو يقول :

ـ اطمئنى يا سيدتى .. كل شىء على ما يرام .. نصف الساعة فحسب ، ونتجاوز دائرة الخطر تماما .

أدهشها صوته ، فى تلك اللحظة بالذات ، ففتحت عينيها ، هاتفة :

ـ دائرة الخطر ؟!

هتافها فجر آلام وجهها ، فصاحت :

ـ رباه ! ماذا فعل بى هؤلاء الأوغاد ؟!

أجابها (أديب) ، وهو يواصل الانطلاق بالسيارة :

ـ لا تقلقى .. لا شىء لا يمكن إصلاحه .. رجالنا يتعرضون لما هو أسوأ من هذا ، ولكنهم يتعافون منه فى سرعة .

بذلت جهدًا حقيقيًا لتعتدل جالسة ، على مقعد السيارة الخلفى ، وهى تقول فى عصبية وحدة :

ـ النساء يختلفن عن الرجال .

ابتسم ، قائلا :

ـ لهذا أنشئوا جراحات التجميل .

انعقد حاجباها ، وهى تتحسس وجهها فى حرص ، مغمغمة :

ـ جراحات التجميل ؟! هل تشوه وجهى إلى هذا الحد .

ثم مالت بجسدها ، لتلقى نظرة على وجهها ، فى مرآة السيارة الداخلية ، ولم تكد تفعل حتى شهقت هاتفة فى ذعر :

ـ يا إلهى !

ثم انفجرت باكية ، وهى تكمل فى مرارة :

ـ يا للأوغاد ! يا للأوغاد !

أشار (أديب) بيده ، قائلا :

ـ لا تجعلى الأمر يفزعك إلى هذا الحد يا سيدتى .. إنها الكدمات المتورمة ، التى تجعل وجهك يبدو هكذا ، ولكنها ستختفى كلها ، بعد أسبوع أو عشرة أيام على الأكثر .. أنفك المحطم وحده سيحتاج إلى جراحة تجميلية بسيطة .

قالت فى حنق :

ـ مجاملة رقيقة .

ابتسم ، قائلا :

ـ بعد أسبوع واحد ستعترفين أنها حقيقة .

مطت شفتيها ، مغمغمة :

ـ ربّما .

قالتها ، وحاولت الاسترخاء فى مقعدها ، وهى تتلفّت حولها ، قبل أن تسأل فى دهشة مباغتة :

ـ ولكن مهلاً .. ألم تلق مصرعك فى (حيفا) ؟!

قهقه ضاحكا ، وهو يقول :

ـ الفضل لك ياسيدة (راشيل) ، فلولا زيارتك لى فى المصنع ، لما انكشف أمرى وحدث ما حدث .

قالت فى حدة :

ـ لا تخاطبنى بهذا الاسم مرة أخرى .. لقد أصبحت أمقته .

سألها فى اهتمام :

ـ بأى اسم أخاطبك إذن ؟!

تردّدت فى إخباره باسمها الحقيقى ، ثم لم تلبث أن قالت فى صرامة :

ـ خاطبنى الآن باسم (فاطمة) .

سألها فى دهشة :

ـ ولماذا (فاطمة) ؟!

أجابته فى حزم :

ـ إنه اسم مصرى الإيقاع ، يبعث فى نفسى الشعور بالارتياح .

ابتسم ، قائلاً :

ـ فليكن .. ولكن المؤسف أنه ليس لدينا ما يكفى من الوقت لمخاطبتك به ، فسنصل إلى الحدود خلال ثلث الساعة فقط .

تلفّتت حولها ، متسائلة :

ـ أية حدود ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ الحدود الأردنية .. لقد تجاوزنا جبل (الخليل) ونحن ننطلق الآن خارج الطرق الرسمية ، بمحاذاة (أريحا) ، التى تجاوزناها منذ فترة طويلة ، وأحد المتعاونين معنا من (السفرديم)(*) ينتظرنا عند نقطة بعينها ، عند الحدود الأردنية ، وعندما نعبرها ، سنجد أحد ضباط المخابرات الأردنية فى انتظارنا ، وهو الذى سيتولى العناية بك ، وإعادتك إلى (القاهرة) .

سألته فى دهشة :

ـ ولماذا الحدود الأردنية ؟! لماذا لم نعبر الحدود المصرية ؟!

(*) السفرديم : اليهود الشرقيون فى (إسرائيل) .

أشار بيده ، قائلا :

ـ لأن هذا ما يتوقعونه .

تطلعت إليه لحظة ، وهو يواصل الانطلاق بالسيارة ، قبل أن تسأله فى اهتمام ، وبفضول أنثوى غريزى :

ـ كيف نجوت من الموت ؟!

ابتسم مجيبًا :

ـ سامحينى يا سيدتى ، ولكن هناك أمورًا أفضل الاحتفاظ بها لنفسى .

كانت ستعاود سؤاله فى عناد ، إلا أن شيئًا ما جعلها تقول فى استسلام عجيب :

ـ هذا حقك .

ولكن يبدو أن طبيعتها المتمردة لم تتقبل هذا الاستسلام فى بساطة ، مما جعلها تستدرك فى حدة :

ـ يمكننى استنتاج ما حدث .

ضحك ، قائلا :

ـ هذا حقك .

ألقت عليه نظرة أخرى ، وشعرت بقلبها يخفق فى عنف ، وبحلقها يجف على نحو عجيب ، وهى تسأله :

ـ أين هو ؟!

سألها فى اهتمام :

ـ هو من ؟!

جف حلقها أكثر ، وهى تجيب :

ـ (أدهم) .. أعنى العميد (أدهم) .

صمت بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ مهمته لم تنته بعد .

هتفت فى دهشة :

ـ لم تنته بعد ؟!

ثم مالت إلى الأمام ، مستطردة فى عصبية :

ـ أى قول هذا يا رجل ؟! ألم ينجح فى إخراج زميله ؟! هل فشل فى تحقيق الهدف ؟!

أجابها (أديب) فى سرعة :

ـ بل نجح تمامًا ، فالسيد (قدرى) يفترض أنه فى طريقه إلى (القاهرة) الآن ، وأنت ستعبرين دائرة الخطر بعد عشر دقائق فحسب ، وهأنذا على قيد الحياة .

هتفت :

ـ أية مهمة إذن ، التى لم تنته بعد ؟!

صمت (أديب) طويلاً هذه المرة ..

طويلاً جدًا ..

وقبل أن تصرخ فى وجهه ، وقد استفزّها هذا الصمت الطويل ، انفرجت شفتاه ؛ ليقول فى حزم جاد للغاية :

ـ إنها مهمة خاصة هذه المرة ..

وصمت لحظة أخرى ، قبل أن يضيف ، بصوت حمل انفعال الدنيا كلها :

ـ خاصة جدًا ..

★ ★ ★

« ابنك يا (أدهم) .. ابنك هناك فى (إسرائيل) .. »

فى ملامح كهل وقور ، وفى شرفة منزل آمن ، يبعد شارعًا واحدًا عن المقر الرئيسى لـ (الموساد) ، جلس (أدهم) يسترجع كلمات (سونيا جراهام) القاسية الشامتة ، التى ألقتها على مسامعه ، فوق السحاب(*) ..

« أهناك انتقام خير من هذا ؟! ابنك أنت .. ابن (أدهم صبرى) ، رجل المخابرات المصرى ،

(*) راجع قصة (فوق القمة) .. المغامرة رقم (١١٩) .

وأقوى رجل مخابرات عرفة التاريخ ، ينشأ ويترعرع فى قلب (إسرائيل) ، ويتلقّى التعاليم اليهودية الصهيونية ، على يد حكمائها ، حتى يبغض ، أكثر ما يبغض ، كل كيان عربى فى الوجود ، ولتصبح عدوّته الأولى فى الدنيا هى (مصر) .. (مصر) وحدها .. »

تمزّق قلبه وهو يتطلّع إلى (تل أبيب) ، ويسترجع كلماتها ، التى ما زالت تدمى كيانه ، حتى هذه اللحظة ..

لا يمكنه أن يسمح بهذا أبدًا ..

لا يمكنه أن يترك ابنه ، لينشأ فى قلب (إسرائيل) ..

فى قلب الكيان اليهودى الصهيونى الاستعمارى ، الذى يبغضه كل البغض ..

لقد أنهى المهمة الرئيسية ، التى أتى من أجلها إلى (إسرائيل) ..

أنقذ صديق عمره ..

وأعاده إلى الوطن ..

والكل يتصوّر الآن أنه أيضًا قد عاد إلى (مصر) ..

ولا أحد سيتخيّل أنه لم يفعل ..

لا أحد سيخطر بباله أنه قد بقى لمهمة أخرى ..

مهمة خاصة ..

جدًا..

لقد بقى ليبحث عن ابنه الوحيد ..

وليعود به إلى الوطن .

صحيح أنه يجهل كيف يبدو ، بعد هذه السنوات ..

بل ويجهل حتى أى اسم يحمله الآن ..

ولكنه لن ييئس قط ..

سيبحث عنه فى كل مدينة ..

فى كل قرية ..

فى كل مدرسة ..

سيبحث عنه ، حتى ولو كان الثمن هو حياته نفسها ..

ولن يهدأ له بال ، حتى تعود الأمور إلى نصابها ، ويجمعهما وطن واحد ..

وطنهما الحقيقى والوحيد ..

(مصر) .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع : ٣٦١٩

اللمسة الأخيرة

- هل نجح رجال (الموساد) فى الإيقاع برجل المستحيل أخيرا، بعد صراعهم الطويل معه ؟!
- كيف يمكن أن يواجه (أدهم صبرى) كل قوى الأمن الإسرائيلية، فى قلب (تل أبيب) ؟!
- ترى لمن يكون النصر هذه المرة، ومن فى نهاية الصراع، سيكون صاحب (اللمسة الأخيرة) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل)



العدد القادم : عملية النيل

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

124

الثمن فى مصر ٢٠٠
ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

مطابع سلاح التلميذ